الغرفة 218

محمَّد فوزي

اسم الكتاب: الغرفة 218

المـــــؤلف: محمد فوزي

الناشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

تصميم الغـلاف: محمد فاروق

التجهيزات الفنيَّة: حسام حسين

25 شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

02/23920369 -01001889363

رقم الإيداع : **2014/17276**

الترقيم الدولي: 978-977-5016-72 -0

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنيَّة- دار الكتب المصريَّة

فوزي، محمَّد.

الغرفة 218: قصص قصيرة / محمَّد فوزي- ط1.- القاهرة: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع، 2014 .

112 ص؛ 20سم.

تدمك: 0- 72-5016-977-978

1- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

813.01

الغرفة 218

محمّد فوزي

بورصة الكتب

الطَّبعة الأولى

طُبع في [illegible] العشرون [illegible]

إهداء

إلى روح والدي الرَّاحل الحبيب . . .

إلى أعزّ وأغلى النَّاس . . .

إلى الذي شعرتُ باليتم والانكسار

يوم أنْ غادر الدُّنيا . . .

البرواز

قصَّة حبّ ناعمة نشأتْ بين عابد وميسون أجمل بنات الحي... جمعتهما جيرة قديمة وزمالة بين والديهما في العمل.

فور انتهاء عابد من دراسته يحرص على التَّقدُّم لخطبة ميسون حتَّى قبل أنْ يحصل على وظيفة تناسب تخصّصه، فهو خريج كليّة العلوم، دبلة وخاتم صغير اشتراهما عابد من جمعيَّة دخلها من مصروفه الشَّخصي.

يبدأ عابد رحلة البحث عن وظيفة مناسبة حتَّى يستقرَّ به العمل كبائع في إحدى الصَّيدليَّات.

ميسون تنهي دراستها الجامعيَّة وتبدأ أسرتها في تجهيزها وتشويرها.

أمَّا عابد فيكدّ ويكدح على مدار 3 سنوات هي عمر فترة الخطوبة يضع القرش على القرش من خلال عمله فترتين في الصَّيدليَّة حتَّى يتمكَّن وبمساعدة الأسرة من شراء الموبيليا والشَّبكة واستئجار شقَّة حجرتين وصالة.

عام من السَّعادة يقضيه عابد وميسون وأيَّام من العسل والحبّ تمرّ سريعاً.

ومع العام الثَّاني للزَّواج تهبّ رياح الخلافات على الحياة الزَّوجيَّة ويشعر عابد أنَّ زوجته ميسون تختلف عن حبيبته ميسون التي اختارها من بين مئات الفتيات وبذل الغالي والنَّفيس للفوز بها.

تثور لأتفه الأسباب... تنتابها حالة من عدم الرِّضا... تطلُّعات تفوق الخيال وتفوق قدرات عابد حتَّى رغبته في طفل تصطدم برفض غير مبرَّر من ميسون، اللهم إلَّا الحفاظ على قوامها والاستمتاع بشبابها!

تتحوَّل أيَّام العسل لأيَّام من الشَّقاء والشِّجار الدَّائم وتطاول من الزَّوجة (ميسون) على الزّوج (عابد) الذي يحاول إرضاء زوجته والحفاظ على استقرار حياتهما الزَّوجيَّة بشتَّى السّبل، إلَّا أنَّه يستشعر أنَّ حبَّه لميسون تحوَّل لنقطة ضعفٍ بدأت تستغلّها ضدّه فهي مصرَّة على التَّمرُّد على حياتهما، بل مصرَّة على قطع كلِّ حبال الوصال بينها وبين عابد.

يحاول الأهل والأصدقاء إصلاح ذات البين بين الزَّوجين وإعادة المياه إلى مجاريها، إلَّا أنَّ ميسون توصد كلَّ الأبواب وتصرّ على الانفصال.

ينفصل عابد وميسون التي تطلب الطَّلاق إلَّا أنَّ "عابد" يرفض ذلك.

تحاول الأمّ مرَّة أخرى مع ابنتها ربَّما هناك شيء جديد طرأ على حياة ميسون، تسألها إنْ كان هناك شخصٌ آخر وتأتي إجابات ميسون بالنَّفي، بل وتؤكِّد أنَّها كرهت الزَّواج وكرهت الرِّجال جميعاً وكرهت حياة الفقر؛ فهي تحلم بالوظيفة المرموقة والدَّخْل العالي والشَّقَّة والسَّيَّارة ورصيد في البنك.

أحلام السّحاب التي فشل والد ميسون في تحقيقها لها، وكذلك زوجها عابد رغم قصّة الحبّ العنيفة التي جمعتْ بينهما.

عابد يعيش في منزل الزَّوجيَّة وحيداً وميسون تعيش في منزل أسرتها.

يكاد يجنُّ من التَّفكير فيما آل إليه حال قصّة حبِّه الوحيدة... حبيبته ميسون التي كانت هي كلّ الدُّنيا... كلّ النَّاس... هل كانت تمثِّل عليه؟ هلْ كانت تخدعه أسئلة كثيرة كادتْ تعصف

بعقله، وتبقى الحقيقة الوحيدة... انفصال الزَّوجان... الحبيبان سابقاً... انفصلا جسداً وروحاً.

يخرج عابد من منزله ذات صباح هائماً على وجهه في طريقه إلى عمله... يتوقَّف أمام استديو التَّصوير... ينظر إلى فاترينة عرض الصّور... يشاهد برواز صورة زفافه مع زوجته ميسون.

يلمح عابد شرخاً أصاب البرواز وصورة الزّفاف، وقد بهتَ لونها بشدَّة بفعل ضوء الشَّمس.

يعود لمنزله في المساء يأخذ حمَّاماً بارداً ويعدّ فنجان قهوة ويشعل سيجارة، يذهب بعدها في نوم عميق.

في صباح اليوم التَّالي تتلَّقى ميسون ورقة الطَّلاق ويمرّ عابد أثناء توجّهه إلى عمله بالصَّيدليَّة على الاستديو يجده مغلقاً، وقد وضعتْ على بابه لافتة كتبَ عليها...

((الاستديو مغلق للتَّحسينات))!!

تمَّتْ

مايو 2007

البيت القديم

كلَّما مرَّ بالبيت القديم يتوقَّف تلقائيًّا... ينظر لذلك المكان الذي شهد سنوات طفولته الأولى... يعاوده الحنين للبيت القديم.

يسترجع شريط الذِّكريات يوم أنْ وطأت أقدامه هذا البيت البسيط مع والده ووالدته وشقيقته الصّغرى، قادمين من الصّعيد مع والده الموظَّف بوزارة الرَّيِّ الذي انتقل للعمل بمنطقة الدِّلتا، وقتها لم يتجاوز عمر الخامسة من عمره.

بيت بسيط من الطُّوب الأحمر تحوطه حديقة صغيرة بها شجرة تفَّاح وشجرة برتقال ونخلة صغيرة وحوض زهور وريحان، يتذكَّر عمر أيَّام الطّفولة الجميلة ولحظات المرح والشَّقاوة التي كانت تجمعه بشقيقته إيمان عندما كانا يلعبان داخل حديقة المنزل.

يتذكَّر يوم أنْ غضبتْ منه شقيقته الصّغرى وبكت بشدَّة لأمِّها بعدما قطف ثمرة التّفَّاح الوحيدة التي نضجتْ على الشَّجرة، والتي كانتْ تراقبها إيمان يومًا بعد يوم تنتظر حتَّى يكتمل نضجها حتَّى تقطفها وتأكلها.

يسترجع عمر لمة الأسرة الصَّغيرة على مائدة إفطار رمضان أيَّام صيف يوليو شديد الحرارة، كيف كان يصوم هو وشقيقته الصَّغيرة

حتَّى انتصاف النَّهار، ثُمَّ يفطران لعدم قدرتهما على إكمال اليوم، لكنَّهما كانا يشاركان الأب والأمَّ فرحة لمة الإفطار عند السَّادسة مساءً على صوت الشّيخ محمَّد رفعت، حيث يجلسون جميعًا على الطَّبليَّة يتناولون طعام الإفطار ويشربون الماء المثلّج وعصير التَّمر الهندي الذي كانت تعدّه الأمّ معتمدة على قطعة الثَّلج الكبيرة التي كان يأتي بها الأب كلّ يوم قبل موعد الإفطار بدقائق، حيث تقوم الأمُّ بوضع قطعة الثَّلج في دلو صغير لتستخدمها في إعداد الماء والعصير المثلَّج، حيث لم يكن لديهم ثلَّاجة في ذلك الوقت.

يتذكَّر عمر كيف كان يستمتع هو ووالده ووالدته وشقيقته إيمان بفوازير رمضان الإذاعيَّة التي كان يقدِّمها الثُّنائي فؤاد المهندس وشويكار على شبكة البرنامج العام.

كم هي أيَّام جميلة اشتاق إليها... كم هي لحظات حميمة يفتقدها عمر الذي بلغ الثَّلاثين من عمره.

حصل على بكالوريوس التِّجارة وينتظر الوظيفة منذ أكثر من سبع سنوات فكَّر في السَّفر للخارج، لكنَّ والده ووالدته رفضا بشدَّة.

شقيقته الصُّغرى إيمان تزوَّجتْ وسافرتْ مع زوجها إلى الخليج فأصبح عمر هو الونيس والسَّنَد الوحيد للأب والأمِّ.

يديم عمر النَّظر إلى البيت القديم كأنَّه يراه لأوَّل مرَّة، فقد تغيَّرتْ معالمه تمامًا... أصبح يتكوَّن من ثلاثة أدوار بعد أنْ كان دورًا واحدًا

وبدتْ عليه علامات السّعة والبحبحة... أحيط بسور من الحجر الفرعونيّ بنيّ اللون، فيما اختفت شجرتا التّفّاح والبرتقال والنّخلة الصّغيرة وحوض الزّهور عن المشهد تمامًا ولم يعد لها وجود!!

يعود عمر بالذّاكِرة إلى الخلف قبل أكثر من خمسة عشر عامًا، وقتها كان على مشارف الثّانويّة العامّة، وقد ظهرتْ عليه علامات الرّجولة الأولى في صوته وشعر شاربه وعانته.

يتذكّر غرفة نومه... كانتْ هناك... نعم، كانت هناك، يتذكّر مكانها... يتذكّر ليالي الشّتاء القارص عندما كان يغوص تحت الغطاء يفكّر في ابنة الجيران التي تكبره بعامين، يتذكّر عينيها الواسعتين الكاحلتين وشعرها الأسود الفاحم.

يتذكّر جلبابها الشّفّاف وهي تقف في حديقة منزلها وهو يراقبها من شبّاك حجرته، وقد شفّ ذاك الجلباب الشّفّاف عن جسدها الفائر الشّهي ولاسيّما مؤخّرتها المثيرة.

كم حلم بها بين أحضانه وبصدرها الشّهي بين يديه وبشفتيها وقد استحالت بين شفتيه أنهارًا من لبن وعسل مصفّى.

يتفحّص عمر البيت القديم والتّغيير الذي طرأ عليه يشعر وكأنّه افتقد سحره القديم ورائحته المميّزة التي كان يشمّها عن بعد حتّى الحديقة الجميلة التي كانت تتوسّطه اختفتْ وحلّتْ محلّها كتل إسمنتيّة علم من أصدقائه أنّ ابن صاحب البيت (منصور) سافر إلى

الخليج بعد وفاة والده ليعمل هناك، بدأ عامل نظافة بأحد الفنادق ثـمَّ عمل مع أحد المقاولين المصريين هناك، وخلال عامين أصبح مقاولًا صغيرًا، وبعدها بعامين آخرين عاد إلى مصر بعد أن جمع مبلغًا كبيرًا من المال، حيث تزوَّج وهدم البيت القديم وبنى بدلًا منه فيلًّا حديثة ثلاثة أدوار، واشترى سيَّارة حديثة كما استغلَّ منصور قطعة الأرض الزِّراعيَّة الموجودة خلف البيت القديم والتي ورثها عن والده وأقام عليها مصنعًا صغيرًا لإنتاج الحلوى.

وأصبح منصور خلال سنوات قليلة من أثرياء المنطقة، وكان رغم بخله الشَّديد وحرصه على أمواله وعدم إنفاقه منها على أوجه الخير والبرّ، إلَّا أنَّه في المقابل كان ينفق ببذخ على ملذَّاته من تعاطٍ للخمور والمخدّرات والسُّقوط بين أحضان الرَّاقصات وفتيات الليل!!

يتذكَّر عمر منصور ذاك الفتى البائس بجلبابه الأسود المليء بالرُّقع، يتذكَّر أيَّام كان منصور يقترض منه النّقود، وكان في الغالب لا يردّها ليشتري السَّجائر الفرط والمخدّرات، يتذكَّر عمر ملابسه القديمة التي كان يهدي بعضها لمنصور ابن صاحب المنزل الذي لم يكن يملك سوى قميص وبنطلون أكل عليهم الدَّهر وشرب وجلباب أسود مليء بالرُّقع.

لكن كيف الحال الآن؟! منصور يمتلك فيلًّا كبيرة ومصنعًا للحلوى ويركب سيَّارة أحدث موديل، يرتدي الجينز والملابس غالية الثَّمن ويستخدم أرقى العطور الباريسيَّة ويدخِّن السَّجائر الأجنبيَّة.

في المساء يجلس عمر في غرفته بالمنزل الجديد الذي انتقلت إليه أسرته بعدما تركا البيت القديم إثر خلاف حادٍّ نشب بين والده ووالد منصور صاحب البيت؛ بسبب جشع الأخير ورغبته في زيادة الإيجار من عشرة جنيهات إلى ثمانين جنيهًا، مما اعتبره والد عمر نوعًا من الجشع والاستغلال؛ فقرَّر ترك البيت فورًا وانتقل لبيت آخر قريب بعض الشّيء من عمله وبـ "خمسة عشر" جنيهًا في الشَّهر.

يطالع عمر أثناء جلوسه في غرفته إحدى روايات يوسف إدريس، وفجأة يتذكَّر البيت القديم وما آل إليه حاله الآن، يشعر بحنين غريب لذلك البيت الذي شهد أجمل سنوات عمره، لاسيَّما فترة الطّفولة يتمنَّى لو عاد إليه مرَّة أخرى، لكن كيف وقد تحوَّل إلى فيلَّا فخمة يمتلكها منصور الذي صار هو الآخر شخصًا آخر غير منصور الفتى البائس الذي كان مثار سخرية وتهكّم أقرانه لبدانته المفرطة وأذنيه الكبيرتين، ربَّما تذكَّر ابنة الجيران التي طالما حلم بها وتمنَّى أنْ تصبح يومًا ما بين أحضانه يذيقها من ألوان الحبِّ ما شاء، لكنَّها الآن بالتَّأكيد تحيا حياة أخرى مع شخص آخر، هي تزوَّجتْ وربَّما صارت

أمًّا لطفلين أو ثلاثة، هكذا كان عمر يحدِّث نفسه حتَّى غلبه النّعاس والرّواية مازالتْ بين يديه!!

في أحد الأيَّام وأثناء تواجد عمر داخل سوق الخضر والفاكهة بالمدينة، إذ بأحد الأشخاص يربت على كتفه...

ــ عمر ازيّك يا راجل أنت فين؟!

ــ مين؟ منصور ازيك عامل إيه؟!

ــ أهوه زي ما أنت شايف سافرت الخليج كام سنة وربّنا كرمني، عملت مصنع للحلاوة وهدّيت البيت القديم اللي كنتم ساكنين فيه وبنيت بيت كبير جديد، حاجة كده... فيلَّا زي بتاعة النَّاس الكبار، والحمد لله... ربّنا فتحها من وسع.

ــ ربّنا يزيدك يا منصور.

ــ وأنت يا عمر أخبارك إيه وشغلك فين؟!

ــ والله أنا خلَّصت بكالوريوس تجارة، وبادوَّر على شغل، من سبع سنين فكَّرت أسافر لكن لما إيمان أختي أتجوّزت وسافرتْ مع جوزها، أبويا وأمِّي بقوا لوحدهم وملهومش حدّ غيري علشان كده صرفتْ نظر عن موضوع السَّفر.

ــ خير ما عملت يا راجل، ولا سفر ولا غيره، أنت تيجي تشتغل عندي في مصنع الحلاوة، أنت مش معاك بكالوريوس تجارة؟ خلاص

تيجي تساعد الرَّاجل اللي ماسك لي الحسابات، وحا أديك خمسمائة جنيه في الشَّهر، قلت إيه؟!

ــ والله أنا محتاج فرصة أفكَّر بس.

ــ مفيش حاجة اسمها تفكَّر أنت قدَّامك يومين بالضَّبط تجهّز نفسك وتيجي تستلم الشّغل من يوم السَّبت، اتَّفقنا.

ــ ربّنا يقدِّم ما فيه الخير يا منصور.

عمر يجد نفسه بين يوم وليلة أمام اختيار صعب، فها هي الوظيفة تأتيه حتَّى بابه تعرض نفسها عليه وبراتب معقول، لكن في الوقت نفسه الوظيفة في مصنع منصور ابن صاحب البيت القديم الذي كان يقترض منه الملابس والنُّقود.

هل يصبح عمر موظَّفًا عند منصور؟! هلْ يصبح منصور هو رئيس عمر في العمل وولي نعمته؟!

فكَّر عمر في الاعتذار لمنصور عن قبول الوظيفة، لكنَّه فكَّر في الوقت نفسه فوجد أنَّ تلك الوظيفة ربَّما غير المرغوب فيها ستجعله قريبًا وملاصقًا للبيت القديم الذي يحنّ إليه دائمًا، والذي تحوَّل لفيلَّا كبيرة، تلك الوظيفة ستجعله يشاهد البيت القديم يوميًّا أثناء ذهابه وإيابه من عمله؛ لذلك عدل عمر عن فكرة رفضه للوظيفة التي عرضها عليه منصور بالعمل عنده في مصنع الحلوى الذي يمتلكه، لم يسعد عمر بالوظيفة التي عثر عليها بعد سبع سنوات من البطالة

وقعدة البيت، وإنَّما كان يشعر بارتياح شديد بأنَّه سيصبح قريبًا من البيت القديم سيحجّ إليه يوميًّا!! يراه يشتمّ رائحته مرَّتين ذهابًا وإيابًا.

ربَّما التقى ذات مرَّة بابنة الجيران التي ما برحت خياله وما هجرت ذاكرته طوال تلك السَّنوات.

يتسلَّم عمر عمله بقسم الحسابات بمصنع الحلوى الذي يمتلكه منصور... حجرة صغيرة بها ثلاثة مكاتب، المكتب الأوَّل لمدير الحسابات صادق أفندي رجل في العقد السَّادس من العمر، والمكتب الثَّاني لمساعده صبحي في منتصف الأربعينيَّات، أمَّا المكتب الثَّالث فكان من نصيب عمر، وكان من حسن المصادفة أنَّ مكتب عمر خلفه نافذة تطلّ على البيت القديم الذي شهد سنوات طفولته الأولى، هنا كان مدخل البيت، وهنا كانت ترقد شجرتا التُّفَّاح والبرتقال، وهناك كانتْ حجرة نومه وبجوارها كانت حجرة الضّيوف.

هكذا راح عمر في أوَّل أيَّام عمله داخل مصنع منصور يتذكَّر تفاصيل بيته القديم قطعة قطعة، والذي تحوَّل إلى فيلَّا ضخمة مكوَّنة من ثلاثة أدوار على سطحها تبرز حظيرة طيور وطبق استقبال فضائي ضخم، وأمام بابها كلب أسود ضخم من نوع كلاب الحراسات!!

يقضي عمر عامه الأوَّل داخل مصنع الحلوى الذي يمتلكه منصور، وقد استطاع أنْ يكتسب ثقته فبات منصور يعتمد عليه أكثر من اعتماده على صادق أفندي مدير الحسابات ويكلّفه بعقد الاتّفاقات

والطَّلبيَّات ويستشيره في كلِّ صغيرة وكبيرة؛ مما أثار غيرة وغضب صادق أفندي الذي أدرك أنَّ "عمر" أصبح شوكة في حلقه، بل وخطرًا كبيرًا عليه، فصادق كان يتربَّح من وراء وظيفته ويتلاعب في الحسابات ويحقِّق لنفسه مكاسب كبيرة دون علم منصور.

لكن منذ تسلّم عمر عمله داخل المصنع وتواجده المستمرّ بجوار صادق أفندي ابتعد الأخير عن التَّلاعب في الحسابات خشية أنْ يكشفه عمر ويفتضح أمره.

ورغم مشاعر الودّ التي كان يحاول منصور أنْ يبديها تجاه عمر إلا أنَّ ذلك لم يمنع شعوره بالنَّقص والضَّآلة أمام عمر الشَّاب المثقَّف المتعلّم الذي كان يقرضه النّقود والملابس القديمة خلال سنوات الطّفولة الأولى.

في الوقت نفسه كان عمر لا يرتاح إلى منصور يكره تكبّره وتعاليه غير المبرّرين ونفخته الكذَّابة وشعوره بأنَّه يستطيع أنْ يشتري النَّاس بأمواله، فضلًا عن قيامه بالإنفاق ببذخ وبشكل لافت بدافع التَّعالي والتَّفاخر.

كان "عمر" يرى أنَّ ذلك كلّه يمثِّل عقدة نقص عند "منصور" الذي لم ينسَ طفولته البائسة وجلبابه المليء بالرّقع وسخرية أقرانه الدَّائمة منه بسبب بدانته المفرطة وأذنيه الكبيرتين!!

يمرّ عامان على اشتغال "عمر" بمصنع الحلوى الذي يملكه "منصور".. عامان مرَّا سريعًا على "عمر" شاهد فيها بيته القديم مرَّتين يوميًّا أثناء ذهابه وعودته من عمله بمصنع الحلوى، وكم كان يمثِّل ذلك من متعة كبيرة لـ"عمر" الذي كان يعاوده الحنين باستمرار لبيته القديم، بل ويعتبره وكأنَّه قطعة من جسده ربَّما طبيعة "عمر" العاطفيَّة وذهنه الصَّافي وتصالحه مع نفسه كانت جميعًا سببًا في حالة العشق والحنين الدَّائم من عمر لبيته القديم الذي عاش فيه عمر أحداث وذكريات لا تنسى، وكيف لا وهو المكان الذي شهد ميلاد قصّة حبِّه الصَّامت لابنة الجيران.

في أحد أيَّام شهر يوليو الحارَّة يدخل منصور مصنعه وقد ارتسمتْ على وجهه علامات الغضب والتَّضجّر حيث دخل مكتبه مسرعًا حتَّى دونما أنْ يلقي تحيّة الصَّباح على العمَّال والموظّفين الذين التقاهم عند دخوله، حيثُ يغلق على نفسه مكتبه لدقائق، ثمَّ يطلب "صادق" أفندي مدير الحسابات و"عمر" للحضور إلى مكتبه لاجتماع مغلق.

يدخل "صادق" أفندي و"عمر" مكتب "منصور"، يظلَّان واقفين أمامه، ويبدو أنَّه كان شاردًا فلم ينتبه لدخولهما، وعندما انتبه أمرهما بالجلوس ليسود الصَّمت للحظات قبل أن يشرع "منصور" في الحديث وقد بدت عليه علامات الضّيق والغضب الشّديدين.

ـ أنا جبتكم هنا علشان آخد رأيكم في موضوع مهم وخطير.

ـ خير يا منصور بيه؟!

ـ مش خير والله يا صادق أفندي... للأسف الشَّديد المصنع عليه ديون كتير ولازم تتسدّد خلال أيَّام وإلَّا سيتمّ الحجز على المصنع، وللأسف مفيش سيولة، يعني المصنع ممكن يتحجز عليه علشان كده أنا جبتكم علشان أبلغكم إني قرّرت أبيع المصنع... مفيش حلّ تاني؟!

ـ لأ المصنع مش ممكن يتباع!

ـ عندك حلّ تاني يا عمر؟

ـ نفكّر في أيّ حلّ تاني إلَّا بيع المصنع مستحيل يقولها عمر بكلّ حماس وعنفوان، وبطريقة ربَّما لفتت انتباه منصور، لكنَّه لم يعطِ للأمر أهميَّة تذكر فيما كان "عمر" صادقًا في مشاعره... صادقًا في كلامه، مستعدًّا لأن يفعل أيَّ شيء لأجل الحفاظ على بيته القديم الذي شهد أجمل سنوات عمره وبين أركانه ولد حبّه الصَّامت لابنة الجيران تلك الفتاة التي قرأ في عيونها الجميلة وقوامها الممشوق كلَّ تاريخ وجغرافيا المرأة!!

لم يعد لـ"منصور" خيار، فإمَّا بيع المصنع وسداد ديونه أو الحجز على المصنع، وربَّما تعرّضه للسّجن لذلك لم يجد بدًّا من بيع المصنع لينجو من الفضيحة.

حيثُ يشتري أحد رجال الأعمال مصنع الحلوى بمبلغ كبير قام من خلاله "منصور" بسداد ديونه، واحتفظ بالجزء المتبقِّي من ثمن بيع المصنع بأحد البنوك، ربَّما يستفيد منه في أحد المشروعات الصَّغيرة وحتَّى يعود من جديد كما كان، فقد اعتاد على حياة الرَّفاهية والبحبحة بعد سنوات من الحرمان والشَّقاء.

أمَّا عمر فقد ذهب لرجل الأعمال المالك الجديد للمصنع عارضًا عليه خدماته بالعمل محاسبًا في المصنع كما كان يعمل، بل إنَّه عرض عليه العمل في أيّ وظيفة يراها لحاجته الشَّديدة للوظيفة دونما أنْ يكشف له عن سبب سعيه للبقاء داخل المصنع وهو البقاء بالقرب من بيته القديم فيلًا "منصور" حاليًا... "منصور" الذي عاد إلى نقطة الصِّفر بعد بيعه لمصنعه، فلم يعد يملك إلَّا الفيلَّا وبضعة آلاف من الجنيهات لا تساعده على بدء مشروع صغير في الوقت الحالي.

المالك الجديد يستقبل طلب "عمر" بابتسامة وودّ شديدين ويعتذر له عن إجابة طلبه؛ لأنَّه سيهدم المصنع ويقيم بدلًا منه برجًا سكنيًّا كبيرًا، فهو مقاول لا يفهم في الحلاوة، كما أنَّ البرج المزمع إنشاؤه بيع بالكامل قبل أنْ يُقام!!

تَمَّتْ

أغسطس 2008

الجيزاوي

في طريق العودة إلى المنزل ليلًا بعد انتهائي من عملي، وعقارب السَّاعة تشير إلى الحادية عشرة مساءً، السُّكون يغطِّي الشَّارع، نسمة هواء خفيفة لفحتني ذكَّرتني بأنَّنا في فصل الخريف.

أمام المستشفى تسمَّرتْ قدماي...

عم جابر يقف باكيًا...

النص صبي المقهى يخبط رأسه في سور المستشفى...

الجيزاوي مات!!

هكذا جاءني ردّ عمّ جابر حاسمًا لما سألته فيه إيه؟!

بابتسامته الصَّافية استوقفني عندما كنتُ في طريقي إلى الصَّيدليَّة لشراء علاج لآلام الكتف التي أصابتني منذ فترة قصيرة.

زوجتي أكَّدتْ لي أنَّه برد في عظام الكتف من النوم بجوار التّكييف بدون غطاء، ولا داعٍ للقلق.

بادرني كعادته: سولي لم يكن ينادي بسليمان أبدًا كان يستهويه اسم سولي!

خبرني أنَّه يتعرَّض لعمليّة ابتزاز قذرة في عمله، أبطالها ثلاثة من زملائه قاموا بتزوير مستندات رسميَّة للحصول على قطع أراضي ملك للدَّولة بدون وجه حقّ، وعندما اكتشف عمليّة التَّزوير في المستندات والمحرّرات الرَّسميَّة بالصّدفة حاولوا رشوته وعرضوا عليه مبلغًا ماليًّا

كبيرًا نظير سكوته، وعندما رفض هدَّدوه بالقتل أو تلفيق تهمه له تودي به إلى السّجن والفصل من عمله!!

لم يمر على التَّهديد يومان إلَّا واكتشف الجيزاوي سرقه بعض الأوراق المهمَّة من مكتبه.

اتَّصلوا به وساوموه على تسليم الأوراق له مقابل سكوته.

الجيزاوي لم يجد مفرًّا من الاستجابة لهم لكنَّهم عادوا واشترطوا عليه أن يوقِّع لهم على إيصال أمانة على بياض؛ ليضمنوا ألَّا يتلاعب بهم بعد أنْ يعطوه المستندات؛ فطلب مهلة للتَّفكير.

قال لي أنَّه في حيرة ولا يعرف كيف يتصرَّف، قلتُ له إنَّها عمليَّة ابتزاز رخيصة.

فسألني كيف يتصرَّف؟! فأشرتُ عليه بإبلاغ الشّرطة، لكنَّه استبعد الفكرة تمامًا.

دخلت عليه حجرة الطَّوارئ بالمستشفى، كان ممددًّا على تروللي ضربه الصَّدأ والتَّآكل.

كان ما يزال فاتحًا فاه، حيث أسنانه التي اكتست بالصّفرة والسَّواد جرَّاء شربه للسَّجائر بشراهة.

الجسد تخشّب وتجمَّد... لا حركة... لا نفس، وغلبتني دموعي.

الجيزاوي رحل إلى العالم الآخر قبل أنْ يكشف الفساد والمفسدين... مات الجيزاوي وبقي الفساد.

في جنازته لمحتُ ثلاثة يرمقونني بنظرات ناريَّة أخذوا يتهامسون فيما بينهم، ثمَّ رحلوا قبل انتهاء مراسم الجنازة.

كان يرى أنَّه لابدَّ أنْ يبذل كلَّ ما في وسعه للكشف عن الفساد والمفسدين حتَّى آخر نفس في عمره.

كثيرون حذَّروه من مناطحة الكبار وطلبوا منه أنْ يمشي جوه الحيط مش جنب الحيط؟!

الجيزاوي لم يكن يسمع لكلِّ تلك النَّصائح، بل كان يوبِّخ أصحابها ويتَّهمهم بالضَّعف والخنوع.

اتَّصل بي على هاتفي المحمول أحد الأصدقاء في ساعة متأخِّرة من الليل ليخبرني بأنَّ فاجعة جديدة حلَّت منذ لحظات... مجهولون أضرموا النَّار في منزل الجيزاوي لتحترق أسرته بالكامل ويتحوَّل المنزل إلى حطام تغطية رائحة الموت.

لحقت الزَّوجة والابن والابنة بالأب المسكين، ومازال المفسدون أحراراً فيما لازالت النَّظرات النَّاريَّة للثَّلاثة المجهولين تحاصرني في منامي.

في جنازة زوجه الجيزاوي وأبنائه رأيتهم للمرَّة الثَّانية وقد أطلقوا النَّظرات النَّاريَّة تجاهي.

حاولت الصّراخ بقوَّة في وجوههم، لكنِّي شعرتُ فجأه باختناق في صوتي... أخذت ألوِّح لهم بيدي، وقد أصابني خرس مفاجئ فيما تجمع حولي نفر من النَّاس من الذين حضروا الجنازة.

همس الثَّلاثة لبعضهم البعض، ثمَّ بدأوا في التَّحدُّث إلى النَّاس.

دقائق معدودة مرَّتْ حتَّى حضرت سيَّارة الإسعاف، وقد حملني إلى داخلها اثنان من المسعفين يرتدون الملابس البيضاء.

تمَّ إيداعي في مستشفى الأمراض النَّفسيَّة والعقليَّة وفشلت كلّ محاولاتي في إقناع الأطبَّاء بأنَّني سليم بعدما أصابني الخرس وانقطع عنِّي الكلام.

عقب خروجي من المستشفى شعرتُ برغبة محمومة في زيارة منزل الجيزاوي كنتُ أظنّ أنَّني سأرى حطامًا وأطلال البيت القديم وأشمّ رائحة الجيزاوي أستعيد من خزانة الذَّاكرة سهراتنا... الضّحكات والأيَّام التي ولَّت... هنا ضحكنا... هنا بكينا على أحوالنا وأحوالها... هنا أكلنا الخس والبلح السلمي.

لكنَّ كلَّ تصوّراتي ذهبتْ أدراج الرِّياح فلا أطلال ولا حطام ولا ذكرى، بل برج سكني كبير أقيم تحته محلّان كبيران، أحدهما لبيع مواد البناء وحديد التَّسليح والآخر لبيع المبيدات والأسمدة الزِّراعيَّة.

اكتشفتُ أنَّ ملاك المحلين هم الثَّلاثة المجهولون الذين رأيتهم في جنازة الجيزاوي، ثمَّ رأيتهم ثانية في جنازة أسرته!!

أغادر المكان سريعًا... ألجأ إلى منفاي الاختياري أسترجع فيه الذِّكريات والأصدقاء والحبيبة التي باعها أهلها إلى رجل النّفط!

عند السَّابعة مساءً تنطلق صافرة التَّجمّع أعود إلى العنبر مع زملائي... أمارس هوايتي كلَّ ليلة أقصّ عليهم حكاية جديدة من حكايات كليلة ودمنة حتَّى يغالبنا النّعاس!!

تَمَّتْ

أكتوبر 2010

الرَّفيقتان تغزلان الصَّبر

رذاذ مطر خفيف يتساقط على شبّاك المنزل الصَّغير المطلّ على بحيرة الصَّيَّادين، النَّوارس تواصل رحلة الصّعود والهبوط في مياه البحيرة.

نجاة تقف تنظر من الشّبَّاك الزّجاجي تفكّر في حياتها البائسة بين أشقّائها الخمسة والأب المشلول والأمّ المريضة بالقلب.

هي الابنة الكبرى تعمل في نقل الأسماك من مراكب الصّيد إلى محلَّات بيع الأسماك المنتشرة بطول البحيرة. قطار العمر تقدَّم بها ولم تتزوَّج فقد بلغت الثَّلاثين وما زالت تحلم بالطَّرحة والفستان الأبيض، لكن مَن يرضى بها وهي الفقيرة البائسة متوسّطة الجمال.

الأمّ تدعو الله ليل نهار بأنْ يرزق ابنتها الكبرى بابن الحلال يسترها ويريحها من حمل الأسماك من مراكب الصّيد إلى المحلَّات.

الأب المشلول ينظر بحسرة لابنته الكبرى التي تقدّم بها العمر وهي تفني شبابها من أجل الإنفاق على أسرتها حتَّى نسيت نفسها.

تستجيب السَّماء لدعاء الأمّ ويتقدَّم صلاح ابن العم للزَّواج من نجاة التي لم تكن تفكِّر يومًا من الأيَّام في صلاح كزوج، وإن كانت

تعلم أنَّه ملتزم ومجتهد في ورشة النِّجارة التي يمتلكها عن والده ويدير من خلالها أمور الأسرة فهو الابن الأكبر.

تتزوَّج نجاة من صلاح ويعيشا عيشة هانئة سعيدة خلال السَّنوات الخمس الأولى من الزَّواج والتي أنجبا خلالها ابنتهما الكبرى إحسان وابنهما حامد الذي يصغر إحسان بعامين.

بعد سبع سنوات من زواجها بصلاح ابن عمِّها رزقتْ نجاة بطفلتها الثَّالثة أسمتها نادية التي ولدتْ بكماء وتعاني من شلل في ساقيها تحمَّلت نجاة الصَّابرة عبء الأسرة الفقيرة وتركتْ زوجها للورشة.

بعد عشرين عاماً كبرتْ ورشة صلاح كما كبر الأبناء إحسان في السنة النِّهائيَّة بكليّة التِّجارة، وحامد دخل الجيش بعد حصوله على دبلوم الثَّانوي الفنّي الصِّناعي.

أمَّا نادية ذات الرَّابعة عشرة فهي تلازم أمّها في المنزل الذي لا تبرحه إلَّا بصحبة أمِّها أو أحد أشقّائها نتيجة لظروفها الخاصّة.

تمرّ الأيَّام وتتبدَّل أحوال صلاح، يغيب كثيراً خارج منزله يعامل زوجته بحدَّة وشيء من الغلظة، بل إنَّه هجرها في الفراش دون أسباب.

ولما اعترضتْ نجاة على تلك المعاملة كان نصيبها السَّبّ والضَّرب المبرح.

تعلم نجاة من إحدى صويحباتها أنَّ زوجها صلاح تزوَّج بأخرى واستأجر لها شقَّة فاخرة بأحد الأبراج الجديدة بالمدينة.

واجهته... لم ينكر وتعامل مع الموقف بهدوء شديد، سألته عن مصيرها ومصير أبنائها، فأكَّد لها أنَّه لن يقصِّرَ معهم.

وعندما طلبتْ منه الاختيار بينها وبين الزَّوجة الثَّانية أكَّد لها أنَّ الاختيار لن يكون في صالحها.

صاحبتها أخبرتها أنَّ الزَّوجة الجديدة جميلة وممشوقة القوام.

تمرض نجاة ولا تجد بجوارها سوى الابنة الصّغرى نادية التي لا تستطيع تدبير أمورها، أمَّا إحسان فقد تزوَّجتْ وسافرتْ مع زوجها إلى الخليج.

أمَّا حامد الابن الأوسط فبعد قضاء فترة تجنيده يستطيع العثور على فرصة عمل بإحدى الدّول العربيَّة أسطى ميكانيكي.

تعيش نجاة حياة بائسة مع الابنة الصّغرى البكماء المشلولة في كنف منزلها العتيق الذي تآكلت جدرانه بفعل عوامل البحر... تهجر البيت البسمة والألفة ودفء المشاعر.

نجاة تخدم نفسها وابنتها المريضة والزّوج مشغول بزوجته الجديدة وطفلها الصّغير، فلم يعد يزورها إلّا نادرًا، حيثُ يلقي إليها ببضعة جنيهات ويمضي.

الابنة الكبرى إحسان انشغلتْ بزوجها، ولم تكلِّف نفسها عناء مكالمة تليفونيَّة صغيرة للاطمئنان عليها وعلى شقيقتها المريضة.

أمَّا حامد فقد نسي هو الآخر أمّه وشقيقته وانشغل بحاله، حيث نجح في إثبات وجوده بالورشة التي يعمل بها ويحوز ثقة صاحب الورشة الذي أصبح يعتمد عليه في كلِّ شيء.

نجاة وابنتها نادية أصبحا كشبحين يعيشان في بيت ضرب الصَّمت جدرانه.

نجاة الأمّ تقوم بعمل كلّ شيء لابنتها الصَّغيرة التي تكتفي بابتسامة طفوليَّة ترمي بها الأمّ المكلومة كلَّما همَّت بإطعامها أو تحميمها أو حملها إلى الحمَّام لقضاء حاجتها.

تمرّ السَّنوات وتكبر نادية وتبلغ الثَّلاثين من عمرها فيما تتخطَّى الأمّ نجاة حاجز السِّتين الابنة الكبرى إحسان استوطنت الخليج مع زوجها وطفليها وتكتفي بخطاب أو خطابين في العام، تسأل فيهما عن أحوال الأمِّ الصَّابرة والأخت المشلولة.

أمَّا حامد فينزل إلى أمِّه وشقيقته مرَّة في العام محمّلًا ببعض الملابس يقضي معهما أسبوعًا على الأكثر ويترك لهما مبلغًا ماليًّا ويرحل عائدًا إلى عمله بإحدى الدّول العربيَّة.

نجاة تواصل رحلة كفاحها مع ابنتها نادية فتحضر لها معلِّمة للغة الإشارات، وبعد شهر تنجح الابنة الصّغرى في التَّعامل مع أمِّها والآخرين بلغة الإشارات.

تبدَّلت الأحوال تدريجيًّا ويختفي الصَّمت شيئًا فشيئًا، حوار الإشارات بين الأمِّ والابنة القعيدة أحال البيت المقبرة إلى آخر كلّه حيويَّة وحركة وضحكات.

بل إنَّ الابنة نادية تغلَّبتْ على عجزها وتعلَّمت مهنة الحياكة وأصبحت تساعد أمّها في تفصيل الملابس وهي المهنة التي أصبحت مصدر الدَّخل الأساسي للأمِّ وابنتها المشلولة.

بل إنَّ نجاة استطاعتْ شراء ماكينة خياطة جديدة من عوائد التَّفصيل لكي تعمل عليها نادية التي أصبحتْ أسطى في التَّفصيل مثل أمِّها ونسيت تمامًا أنَّها عاجزة وتعاني شللاً في ساقيها.

زاد دخل الأسرة الصَّغيرة وعادتْ البسمات والضّحكات مرَّة أخرى للرَّفيقتين الأمّ الصَّابرة والابنة العاجزة.

الابنة الكبرى إحسان تواصل رحلة شجارها اليوميّ مع الزّوجة الثّانية الخليجيّة التي أصبحتْ ستّ البيت!!

تشخط وتنطر في إحسان وطفليها الذين تحولوا إلى خدم في بيت الزّوجة الثّانية.

الابن الأوسط حامد يقضي عقوبة السّجن لمدّة 10 سنوات في واقعة قتل صاحب العمل الذي حاول الاعتداء عليه جنسيًّا.

فيما لازالت الأمّ نجاة والابنة الصّغيرة العاجزة نادية تواصلان رحلة كلّ يوم على ماكينتي الخياطة في سعادة كبيرة.

تَمَّتْ

مارس 2010

الرَّكض مع الأقنعة

التاعت لمشهد الصَّبي الذي لم يتجاوز التَّاسعة من عمره، شلل الأطفال نال منه عقب ولادته... يجوب الشَّوارع زحفًا مستخدمًا كلتا يديه يسأل المارَّة أنْ يعطوه نقودًا، أو خبزًا، أو طعامًا، أيّ شيء يعود به لأمِّه وشقيقه الرَّضيع علمت بقصّته عندما سألته عن اسمه أجاب... سعيد!!

تعجبت وتسألت... ترى مَن استنَّ له هذا الاسم!!

اعتادتْ أنْ تلتقيه كلّ يوم أثناء عودتها من عملها، تعطيه نقودًا وأحيانًا طعامًا وأحيانًا أخرى ملابس قديمة تخصّ ابن شقيقتها الذي يقاربه العمر.

تعود من عملها وقد نال منها الإرهاق والإحباط من سوء معاملة مديرها في العمل الذي يحاول استفزازها دائمًا وإشعارها بالفشل والعجز والضَّألة...

تشعر أحيانًا كثيرة أنَّها مثل الصَّبي سعيد!

فكَّرتْ أنْ تترك العمل لكن ما البديل؟!

هل ستجلس في المنزل وتعلّق شهادة البكالوريوس على الحائط تنتظر الفرج وربَّما العريس الذي لن يأتي!

تجاوزت الثَّلاثين عامًا بقليل... أنثى شديدة العزوبة، ممشوقة القوام، عنيدة، تعتزّ بشخصيّتها وكبريائها.

تخلع ملابسها... تأخذ حمَّامًا دافئًا يذيح عنها هموم يومها.

يتدفَّق الماء السَّاخن على جسدها، تشعر بخدر لذيذ... تعبث بأشيائها.

اعتادتْ ذلك على فترات متباعدة كلَّما أسلمتْ جسدها لحمَّام ساخن أو بارد.

تكاد تصرخ من اللذَّة والألم!!

في الصَّباح تلتقي "سعيد"، تعطيه جنيهًا واحدًا وتودعه باسمه... يبادلها ابتسامة طفوليَّة.

تذهب إلى عملها... تتنقل بين الأوراق والدّوسيهات، يطلبها المدير في مكتبه ويبلغها بأنَّها ستعمل اليوم ثلاث ساعات إضافيَّة مع أربعة من زملائها لإنهاء بعض الملفَّات المهمَّة الخاصَّة بالمؤسّسة.

تشعر بنوع من الضّيق والامتعاض من طلب المدير، لكنَّها لم تسمح لملامح وجهها أنْ تبوح بذلك وتهزّ رأسها كإشارة إلى استجابتها لمطلب مدير العمل.

تخرج من مكتب المدير وهي تلعن نفسها واللحظة التي جعلتها تلتحق بهذا العمل، وأنْ تكون تحت إمرة هذا الرَّجل العجوز المتصابي الذي لا يترك موظَّفة تعمل معه إلَّا والتهمها بعينيه، وكثيرًا ما نال من بعضهنَّ ممن استجبنَ لإغراءاته بالأموال والحوافز والتَّرقيات، فخضعن له ولمطالبه الوقحة.

تخرج سلمى من مقرِّ عملها في السَّادسة مساءً على غير العادة بعد أنْ عملتْ ثلاث ساعات إضافيَّة بناءً على طلب مدير المؤسّسة تنتظر تاكسيًّا لتستقلّه عائدة إلى منزلها.

فجأة... تلمح مشهدًا عجيبًا... مفاجأة لم تكن في الحسبان.

الصّبيّ الصَّغير سعيد الذي يعاني شللًا في قدميه يجري مع مجموعة من أقرانه من الصّبية يلهون بقطَّة صغيرة تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة بين أيديهم!!

سلمى تصاب بالدَّهشة والصَّدمة... الصَّبيّ "سعيد" ضحك عليها وضحك على الجميع، فهو ليس مشلولًا، بل معافى ويسير على قدميه ويلهو مع أقرانه.

وقد ارتدى ملابس لا تدلّ على حالته التي كانتْ تشاهده عليها!!

تستقلّ سلمى تاكسًّا أجرة عائدة إلى منزلها، وفي الطَّريق تعدل عن خططها وتقرِّر المرور على صديقتها وزميلتها في العمل "منار".

تطرق باب شقّتها عدَّة مرَّات، تعتقد أنَّها ليست موجودة... تهمّ بالمغادرة... "منار" تخرج إليها... تفتح الباب... شعرها منكوش ترتدي "روب" أبيض قصير من دون حواشي، أثار عرق تبلل جبينها!!

ترتبك "منار" أثناء ترحيبها بسلمى التي تلمحه من باب الشَّقَّة خارجًا لتوِّهِ من حجرة النّوم بملابسه الدَّاخليَّة يستطلع الأمر.

مديرها في العمل شبه عارٍ يقف وراء ستارة صغيرة تفصل حجرة النّوم عن الصَّالة!!

تترك سلمى صديقتها وتغادر مسرعة وهي تبكي منهارة غير مصدِّقة لما رأتْ.

الكلّ يكذب... الكلّ يتجمَّل... الكلّ يمارس النَّصب على طريقته من أجل المال... من أجل المنصب... من أجل المتعة.

بعد أسبوع

سلمى ترتدي فستانًا أسود قصير يبرز مفاتن جسدها، تستقلّ تاكسيًّا من أمام منزلها، وبعد ربع ساعة تصل إلى الشَّقَّة، يفتح لها الباب ويأخذها بين أحضانه... يلتهم أنوثتها في لحظات!!

بعد شهر

سلمى تتسلَّم عملها الجديد... يتضاعف راتبها إلى ثلاثة أضعاف راتبها القديم.

بعد انتهائها من عملها تستقلّ سيَّارتها الحمراء الحديثة عائدة إلى منزلها!!

الصَّبيّ "سعيد" يواصل رحلته، يجوب الشَّوارع زحفًا مستخدمًا كلتا يديه يسأل المارة أنْ يعطوه نقودًا أو خبزًا أو طعامًا.

تَمَّتْ

أكتوبر 2009

الصَّعاليك يقيمون الأضرحة سرًّا

عقارب السَّاعة تشير إلى الثَّانية صباحًا... البرد القارص والرِّياح والهطول المتقطِّع للأمطار حوَّلوا قرية الزّهويين إلى مدينة للأشباح.

سويلم الضّبيش وخلاف الطناني وجابر منصور يتجمَّعون عند قبر حامد عبد الظَّاهر الذي كان يتنقَّل بين المقابر والموالد يقرأ القرآن وينشد التَّواشيح والأدعية، والذي تُوفي منذ أكثر من شهر.

يشرع الأصدقاء الثَّلاثة الذين جمعتهم علاقة صداقة قويَّة بحامد عبد الظَّاهر في مجالس "الكيف"، وتعاطي الحشيش والبانجو، وكذا تناوب ركوب سماسم الرَّاقصة في الموالد والأفراح والتي كانت تقيم بقرية مجاورة للزّهويين.

يشرع الثَّلاثة في نبش قبر صديقهم حامد عبد الظَّاهر، حيث يخرجون جثّته ويقومون بنقلها لمكان آخر قريب من المقابر يدفنونها ويغادرون.

مع ساعات الصَّباح الأولى يشيع الخبر بين أبناء القرية: حامد عبد الظَّاهر جاء لأصدقائه الثَّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور في المنام، وأخبرهم أنَّه انتقل بجسده من مقبرته إلى مكان آخر اختاره الله ليكون مقامًا له، وأوصاهم ببناء المقام في المكان الذي اختاره الله له.

وطلب منهم أنْ يقيموا له مولدًا سنويًّا في الخامس عشر من مايو من كلِّ عام باعتبار أنَّ ذلك اليوم هو يوم مولده وأنْ يكون المولد مفتوحاً لأهالي القرية والقرى المجاورة يقيمون فيه موائد الطَّعام وحلقات الذِّكر ويتبرَّكون به.

وأبلغهم بأنَّ القرية ستشهد بعد ثلاثة أيَّام حريق كبير وستنجو من هلاك محقَّق بفضل الله.

هكذا أبلغ حامد عبد الظَّاهر أصدقاءه الثَّلاثة في منامهم وقاموا هم بنقله لكلِّ مَن يقابلهم من أبناء قرية الزّهويين وشاع الخبر بين أهالي القرية الذين راح بعضهم يهتف للشّيخ الوليّ حامد عبد الظَّاهر، بل إنَّ البعض منهم أكَّد أنَّه كان يشعر بأنَّ هذا الرَّجل من الصَّالحين وفيه شيء لله.

وانتقل عدد كبير من أهالي القرية إلى ضريح الشّيخ حامد وأخذوا يدعون ويسألونه البركة والمنن، وأعلن بعضهم تبرّعه بالمال لإقامة ضريح يليق بهذا الشّيخ الوليّ الصَّالح!!

بعد ثلاثة أيَّام يستيقظ أهالي الزّهويين على حريق مروِّع بأحد مخازن الغلال الخاصَّة بحلمي بك فرَّاج أغنى أغنياء القرية والذي يمتلك مساحات شاسعة من الأراضي الزِّراعيَّة وعددًا من المنازل والحدائق الغنَّاء ذات الإنتاج الوفير من الفواكه.

تستطيع قوَّات الإطفاء السَّيطرة على الحريق بمساعدة بعض أهالي القرية الذين هرعوا إلى مكان الحريق قبل وصول قوَّات الإطفاء.

وتأكَّدت قرية الزّهويين من صحّة أقوال سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور حول ما أخبرهم به الشّيخ حامد عبد الظَّاهر من وقوع حريق كبير بالقرية، وهو ما حدث بالفعل ليصبح جليًّا للجميع وبما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ "حامد عبد الظَّاهر شيخ وولي وفيه شيء لله، وأنَّ الله سبحانه وتعالى منحهم عطية كبيرة بأن اختصَّهم وأوجد بينهم وليًّا مثل الشّيخ حامد عبد الظَّاهر.

خلال أيّام يتمّ بناء مقام الشّيخ حامد عبد الظّاهر في وجوده وتحت إشراف أصدقائه الثّلاثة، ويتمّ طلاء المقام باللونين الأخضر والأصفر فيما يتمّ كسوة الضّريح بالحرير الأخضر ويرتاد أهالي الزّهويين مقام الشّيخ حامد أيّام الجمع والأعياد، وعند عودتهم من المقابر يتبرّكون به ويتركون داخل المقام وصندوق النّذور ما تجود به الأنفس من نقود وطعام وشراب.

الرّجال المربوطون الذين لا يقربون زوجاتهم... الفتيات العوانس اللاوتي فاتهنّ قطار الزّواج... النّسوة اللاتي يعانينَ انشغال الزّوج أو مضايقات الحماه... كلّ أولئك يحجّون ويلجأون لمقام الشّيخ حامد عبد الظّاهر يلتمسون البركة.

فيما يتفرّغ كلٌّ من سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور لجمع النّقود من صندوق النّذور وأكياس الطّعام والشّراب التي يتركها أهالي الزّهويين من زوّار مقام الشّيخ حامد داخل المقام، ثمَّ يقومون بتوزيع كلّ ذلك بالتّساوي بينهم وهم يضحكون في سخرية "علي" صديقهم ((الوليّ)) الذي هم فقط مَن يعلمون حقيقته فحامد عبد الظّاهر رغم أنّه كان يجوب المقابر يقرأ القرآن على أرواح الموتى مقابل نقود وطعام يتحصّل عليهما من

ذويهم وأقاربهم ويتنقَّل بين الموالد ينشد الأناشيد والتَّواشيح رغم ما سبق فحامد عبد الظَّاهر لم يكن تقيًّا ولا ورعًا ولا درويشًا، بل إنَّه نادراً ما كان يدخل المسجد وكان يشارك أصدقاءه الثَّلاثة جلسات الكيف والفرفشة وسط الغيطان يتعاطون الحشيش والبانجو، ثمَّ يكملّون سهرتهم بتناوب مضاجعة إحدى فتيات الليل أو غازيَّة من الغوازي!!

كما كان حامد عبد الظاهر معروفاً بين أصدقائه بأنَّه جبان وبيخاف من خياله، ولا يمكن بأيِّ حال من الأحوال أنْ يسير بمفرده في ساعة متأخِّرة من الليل مهما كان السَّبب، وكثيراً ما نصب له أصدقاؤه الثَّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور العديد من المقالب لإخافته والتَّندّر بردود أفعاله.

بعد مرور عامين يتهافت الزّوَّار على مقام الشّيخ حامد من القرى المجاورة للزّهويين، بل يأتي إليه البعض من محافظات مجاورة.

أمَّا الأصدقاء الثَّلاثة، فتظهر عليهم أمارات السّعة والبحبحة بفضل تربّحهم من وراء مقام صديقهم الشّيخ حامد عبد الظَّاهر

الذي أصبحت قرية الزّهويين ترتبط باسمه حتّى إنَّ البعض أطلق عليها قرية الشّيخ حامد!

بحلول الخامس عشر من مايو تحلّ الذِّكري الثّالثة لمولد الشّيخ حامد عبد الظّاهر المقام ويزدان بالأنوار وعبق رائحة البخور ويعجّ بمئات الزّوّار من الرِّجال والنِّساء والشّيوخ والأطفال يحملون العطايا من النّقود والطّعام والشّراب ويمنّون الأنفس بنفحات البركة والرِّضا وتفريج الكروب وتقبّل الدِّعاء وتحقيق الرَّجاء.

القرية تبدو مزدحمة على غير عادتها، ومثلما يحدث في هذا اليوم من كلِّ عام منذ ثلاث سنوات حركة البيع والشّراء داخل القرية تتزايد... حلقات الذِّكر والإنشاد تتواصل... الكثير من الضّيوف يحلّون من هنا وهناك على قرية الزّهويين ضيوفاً على أقاربهم يحملون إليهم زيارات بها ما لذَّ وطاب من الطّيور والفطير المشلتت والقشدة والعسل والخضروات والفواكه، الكلّ يدعو للشّيخ حامد ويتبرّك به ويسأله العطايا، فهو شيخ مبروك وله كرامات ولولا ذلك ما شهدت قرية الزّهويين كلَّ ذلك!!

خلال إلقائه خطبة الجمعة يدعو الشّيخ أمين الزَّهوى المصلين إلى نبذ بعض العادات الجاهليَّة التي لا تمتّ للإسلام بصِلَة ويخصّ

في خطبته عادة التبرك بالشّيوخ والأولياء والتي يعتبرها بدعة ما أنزل اللهُ بها من سلطان، وشركًا صريحًا بالخالق سبحانه وتعالى.

تصيب كلمات الشّيخ أمين الزّهوي الأصدقاء الثّلاثة بالضّيق والغضب؛ فكلام هذا الشّيخ سيفسد عليهم روّاد ومريدي الشّيخ حامد عبد الظّاهر وربّما يقتنعون بكلامه ويمتنعون عن زيارة المقام فتضيع عليهم عطايا هؤلاء البسطاء من النّقود والطّعام والشّراب والهدايا التي يمتلئ بها مقام الشّيخ حامد.

يفكّر الثّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور في كيفية مواجهة وإجهاض دعوة الشّيخ الزّهوي فكّروا في كلّ شيء حتّى اهتدوا إلى إعطائه علقة ساخنة تجعله لا يقوى على الخروج من منزله.

يتلثّم الأصدقاء الثّلاثة وينتظرون الشّيخ أمين الزّهوي داخل زراعات الذّرة للانقضاض عليه أثناء عودته إلى منزله وضربه علقة موت!!

بعد ساعة من الانتظار يظهر الشّيخ أمين الزّهوي قادماً في طريقه إلى منزله.

ينقضّ الثّلاثة عليه مثلما ينقضّ الذِّئب على فريسته ويوسعونه ضرباً في أماكن متفرِّقة من جسده حتّى يغشى عليه، فيتركونه مضرّجًا في دمائه وسط زراعات الذّرة.

في الصّباح يلمح بعض المزارعين الشّيخ أمين الزّهوي ملقى داخل زراعات الذّرة يتلوّى مضرَّجًا في دمائه ينقلونه بسرعة إلى المستشفى، حيث تثبت الأشعة إصابته بكسور مضاعفة بالكتف الأيمن والقدم اليمنى، حيث يتمّ عمل جبيرتين للكسرين ويطلب الطّبيب من الشّيخ أمين الزّهوي عدم مغادرة سريره لمدّة لا تقلّ عن شهر ونصف الشّهر بعدها سيتمّ فكّ الجبس!!

45 يومًا ينعم فيها الصّعاليك الثّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور بالرّاحة من الشّيخ أمين الزّهوي وخطبه المفسدة للعقول والتي كادت تؤثِّر على تربّحهم من وراء مقام الوليّ المزعوم الشّيخ حامد عبد الظّاهر.

يعلم الشّيخ أمين الزّهوي بعد تعافيه من إصابته أنَّ وراء الحادث الذي تعرَّض له والعلقة الموت التي حصل عليها الصّعاليك الثّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور الذين تلثّموا وكمنوا له داخل زراعات الذّرة وأوسعوه ضربًا

فكسروا ضلوعه وألزموه في سريره قرابة الشَّهرين لم يرَ خلالهما الشَّارع أو مريديه من المصلِّين وأهالي قرية الزّهويين.

يشعر الشّيخ أمين الزَّهوي بالغضب الشَّديد مما فعله به الشَّياطين الثَّلاثة ويقرِّر الانتقام منهم على طريقته الخاصَّة وفي أعزّ ما لديهم!!

يقوم الشّيخ أمين الزّهوي بربط الضَّعاليك الثَّلاثة كما كان يطلق عليهم وتمرّ أيَّام طوال دون أنْ يقترب أحدهم من زوجته أو يتمكَّن من معاشرتها، كلّ المحاولات باءتْ بفشل ذريع!!

الغضب يتمكَّن من الضَّعاليك الثَّلاثة بعد اكتشاف عجزهم المفاجئ، وبعد أنْ علموا أنَّ زوجاتهم حكينَ لبعضهنَّ عمَّا حدث لهم وأصبحت فضيحتهم بجلاجل!!

يتَّفق الأصدقاء الثَّلاثة سويلم الضّبيش وخلاف الطّناني وجابر منصور على الالتقاء عند مقام صديقهم الشّيخ حامد عبد الظَّاهر.

يتبادل الثَّلاثة النَّظرات والأسئلة الحائرة، ما سرّ هذا العجز المفاجئ الذي أصابهم رغم أنَّهم ما زالوا في ريعان شبابهم ويملكون من الفتوَّة والرّجولة الكثير والكثير فماذا حدث لهم؟! ولماذا الآن؟!

وهلْ ستستمر تلك الحالة طويلًا؟! هلْ يمكن أنْ تطلبَ نساؤهم الطَّلاق بعد إصابتهم بالعجز خشية الفتنة؟!

يحاول جابر منصور التَّخفيف عن صديقيه ويؤكِّد لهم أنَّ ما حدث لهم أمر عادي يحدث لكثيرين، وهو قبل كلِّ شيء قضاء وقدر وغمة وستنزاح قريبًا، لكن كلام جابر لم يقنع الضّبيش والطّناني.

يتَّجه الثَّلاثة ببصرهم إلى مقام صديقهم الشّيخ حامد يتمسَّحون فيه... يدورون حوله يسألونه البركة ورفع الكرب والمصيبة التي حلَّت بهم، وقد بلَّلت ذقونهم وشفاههم دموع صادقة ربَّما لأوَّل مرَّة!

فجأه يتذكَّرون أمر شيخهم ووليّهم المزعوم حامد عبد الظَّاهر يتذكَّرون أنَّه من صنيعتهم، فلا هو شيخ ولا وليّ ولا يحزنون، هو صديقهم الصّعلوك الشَّقيّ حامد عبد الظَّاهر الذي كان يشاركهم جلسات الفرفشة ويخاف من خياله ولا يملك من أمر نفسه شيئًا، فكيف يطلبون منه البركة والمنح ورفع الضّرر.

لا ينتظر الصَّعاليك الثَّلاثة كثيرًا، يقرِّرون في لحظات هدم مقام شيخهم ووليّهم المزعوم حامد عبد الظَّاهر واستخراج رفاته وإعادتها لقبرها الأصليّ.

ما أن بدأوا في هدم مقام الشّيخ حامد عبد الظَّاهر حتَّى حاصرهم الشّيخ أمين الزّهوي وعدد كبير من أبناء قرية الزّهويين حاملين مشاعل النَّار، حيث حاصروا الصَّعاليك الثَّلاثة وسألوهم كيف تجرَّأوا على تلك الفعلة الشَّنعاء؟! كيف يسعون لهدم مقام وضريح الشّيخ حامد عبد الظَّاهر، ذلك الشّيخ المبارك الذي تتعلَّق به قلوب البسطاء، ثمَّ انهالوا عليهم بالضّرب المبرّح وأصرّوا على طردهم خارج القرية.

بعد مرور عام يموت سويلم الضّبيش بعد صراع طويل مع نوبات صرع كانت تأتيه بشكل مستمرّ وتجعله لا يعرف النّوم ليلًا أو نهارًا.

خلاف الطّناني يصاب بشلل نصفي يفقده القدرة على الكلام والحركة.

جابر منصور يسير في طرقات قرية الزّهويين والقرى المجاورة بملابس مهلهلة وممزّقة وشعر أشعث ورائحته تزكم الأنوف على بُعْد أمتار وقد أخذ يتمتم ويهذي بعبارات وكلمات غير مفهومة.

الأطفال والصّبية يتلذّذون بمضايقته وإلقائه بالحجارة وهم يصيحون "العبيط أهو" وجابر يجري أمامهم باكيًا صارخًا فيهم "يا ولاد الكلب"!

في المقابل مئات الرِّجال والشّيوخ والنِّساء والأطفال يلتقون حول مقام الشّيخ حامد عبد الظَّاهر يتمسَّحون به ويتلون الأدعية ويسألونه البركة والمنح ورفع الكروب وفك المربوط، والأطفال يلهون بالحلوى والبالونات.

تَمَّتْ

نوفمبر 2009

الغرفة 218

في ساعة متأخِّرة من ليلة قارصة البرودة من شهر يناير أهرع إلى سيَّارة الإسعاف لنقله سريعاً إلى المستشفى.

فور وصوله وضعوه على نقَّالة من الحديد نال منها الصَّدأ، وبدأتْ عمليّة الإسعافات الأوَّليَّة والتَّعامل مع الغيبوبة، هالني حالة العنبر المجَّاني ومشاهد المرضى وذويهم على الأرض وقد التحفوا بأغطية متهرئة من الصّوف، وقد انتشرت القاذورات والنّفايات الطّبّيَّة في المكان.

أسرعتُ بنقله إلى الجناح الاستشاري، حيثُ يتحمَّل المريض كلّ شيء... أجرة الحجرة والأدوية والطَّبيب المتابع.

في الغرفة 218 رقد الوالد الحبيب، حيث علَّقوا له المحاليل وأجروا له الأشعة والتَّحاليل المطلوبة.

وبدأ توافد الأهل والأصدقاء للشّدِّ من أزره وأزري فيما كانوا يمصمصون شفاههم في الخفاء حزنًا على حالة الوالد.

كنتُ أعلم الحقيقة وربَّما استشرفت المشهد يوم سفره لأداء فريضة الحجّ عندما أصرَّ على الطَّواف بالسَّيَّارة في الشَّوارع المحيطة بالبيت

يلوِّح بيديه للجيران والأصدقاء كأنَّه يودِّعهم الوداع الأخير وانقبضتُ في سرِّي!!

الأطبَّاء أبلغوني أنَّ الحالة حرجة، كنتُ أختلس الدّموع والعبرات السّاخنة كلَّما اختليتُ بنفسي فيما أبدو أمامه قويًّا متماسكًا.

كان دائم السّؤال عن الأحفاد والأهل، وعندما التقاهم كانت سعادته لا توصف، كان ينظر لكلٍّ واحد بعمق وكأنَّه يودعهم الوداع الأخير.

سألته في لحظة جمعتني أنا وهو فقط، سألته: هل كنتَ تحرص على تناول الدَّواء وأنت تؤدِّي الشّعيرة.

قال بهدوء ورضا: أنا كنت في إيه ولا إيه يا ابني!!

قلتُ: ربّنا يجعله في ميزان حسناتك.

بعد عشرة أيَّام قضاها في المستشفى أصرَّ على العودة للبيت، والطَّبيب المعالج قال لا مانع، بشرط الالتزام بالعلاج وقائمة المحرّمات من الطَّعام.

أقلّ من خمسة أيَّام قضاها على سريره في البيت كنتُ تحت قدميه أنهل من دعواته التي لا تنقطع.

فيما أشتمّ رائحة الموت تأتي من بعيد، تقترب وتقترب لتخطف منِّي سندي في هذا العالم.

أتذكَّر يوم رحيله بصق على الدّنيا، نحَّى يدي والمنديل جانبًا وبصق بصقة صغيرة، حدَّثني قلبي أنَّها بصقة الوداع.

عندما وضعوه علي النَّقَّالة لنقله للمستشفى من جديد أبت النَّقَّالة الخروج من الحجرة قبل أنْ يستنفذ خطواته في الدُّنيا سار خمس خطوات من سريره حتَّى باب الحجرة، ثمَّ نُقِلَ على النَّقَّالة التي تحرَّكتْ بسرعة.

نُقِلَ إلى المستشفى نفسها والجناح الاستشاري نفسه، لكن هذه المرَّة في غرفة مواجهة للغرفة 218.

علَّقوا له المحاليل وأجروا له الأشعة والتَّحاليل المطلوبة، ربَّما من باب الواجب أو وفاءً للمصاريف التي قمنا بسدادها قبل أنْ يدخل غرفته.

كنَّا حوله خمسة أشخاص على ما أذكر ندعو له بالشِّفاء، فيما كان هو في عالم آخر يتمتم بكلمات غير مفهومة، ثمَّ بدأ يتمتم بآيات قرآنيَّة مرَّة وينادي علي أمِّه وأبيه الرَّاحلين مرَّة ثانية وكأنَّه يبلغهما بقرب قدومه.

عندما لاح فجر الجمعة صعدت روحه إلى بارئها وانطفأ النّور الذي يضيء حياتي، رحل أبي وتركني وحيدًا.

في مشهد جنائزي مهيب رأيتُ حشودًا لا حصر لها حضرتْ من كلِّ حدب وصوب.

سكبتُ العبرات السَّاخنة تحت ظلال شجرة صفاف بجوار البيت القديم الذي لم يتغيَّر من عشرات السّنين عندما كنتُ طفلًا صغيرًا وكان يصحبني معه ليشتري لي الحلوى والمثلَّجات من دكَّان بدوي بقَّال القرية، ثمَّ يأخذني إلى الحقل؛ ليحكي لي عن جدِّي وأعمامه وكيف كانت قلوبهم جامدة زي الحديد.

في المساء الكلّ نائم إلَّا أنا أفتِّش في أركان بيتنا القديم عن كلِّ ما يذكّرني به، أبحث عن كلِّ الأشياء التي تحمل رائحته، أعثر في أوراقه القديمة على بضع وريقات صغيرة دوَّن فيها أعمال برٍّ وخير كان يقوم بها وأوجه إنفاقها، مزيّلًا ذلك بالآية الكريمة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

عند القبر أجلس وحولي حفيداه ندعو ونقرأ له القرآن فيما يلوِّح من بعيد طائر الكروان يشدو بلحن حزين.

الكلّ انفضُّوا من حوله ولم يبقَ إلَّا أنا وحفيديه اللذين مازالا ينتظران ظهور الجدّ ليصطحبهما إلى حديقة الحيوان ومدينة الملاهي كما وعدهما قبل أيَّام!!

تمَّت

يناير 2012

الكلب والحصان الخشبيّ

جمعتهما زنزانة واحدة... زهدي عبد السَّلام الإخواني المحبوس على ذمّة إحدى القضايا الإخوانيَّة ونادر شهدي عضو الحزب الشّيوعي المقبوض عليه بتهمة المشاركة في أحد التَّنظيمات الشَّيوعيَّة السِّرِّيَّة.

كانا يتشاركان اللقمة وشربة الماء والسَّجائر الفرط والحلم بيوم الخروج من السّجن.

زهدي يحلم بالعودة إلى أحضان أسرته الزّوجة وطفليه اللذين لم يكملا عامهما السَّادس.

ونادر يحلم بالعودة إلى حياة الصَّعلكة والتَّنقّل ما بين مقرّ الحزب الشّيوعيّ وبارات وسط البلد وأحضان السَّاقطات.

لم يخفيا عن بعضهما أيّ شيء، كان كلّ واحد منهم خزانة أسرار للآخر حتَّى إنَّ زهدي عبد السَّلام كان يحكي لنادر شهدي عن تفاصيل لقاءاته الحميمة بزوجته إنصاف ذات الجسد الأبيض الفائر الذي تزيّنه "وحمة بنِّي" أسفل البطن!!

نادر رغم قربه الشَّديد من زهدي والصَّداقة الحميمة التي جمعتهما لم يمنعْ نفسه من أنْ يحلم بـ"إنصاف" ويتذكَّر حكايات زهدي عن تفاصيل لقاءاتهما الحميمة وشبقها ورغباتها الجريئة والمثيرة.

"نادر" هو الآخر لم يخف شيئًا عن صديقه ورفيقه الإخواني زهدي، فحكى له عن صراعات الحزب الشّيوعيّ والفساد الموجود داخل الحزب وعلاقته برجاء الرَّفيقة في الحزب الشّيوعي ورفيقته في الفراش.

كما حكى له عن فترة اعتقاله التي لم يقفْ معه أحد خلالها من الحزب الشّيوعي سوى صديقته رجاء وسمير كاشير وعامل البوفيه داخل الحزب.

زهدي أكَّد لصديقه نادر أنَّه أيضًا صدم من بعض الممارسات داخل قيادات الجماعة، التي لا تتَّفق مع ما يقولونه على الملأ وعبر وسائل الإعلام.

واتَّفق الاثنان على أنَّ الحياة السِّياسيَّة في البلد فساد في فساد وتغليب للمصالح الشَّخصيَّة على المصلحة العامَّة ليس في صفوف الحكومة فقط وإنَّما داخل المعارضة أيضًا.

السَّنوات تمرّ ثقيلة فزهدي لم يمر من فترة سجنه التي تصل إلى خمس وعشرين سنة إلَّا عشر سنوات مرَّتْ عليه كأنَّها الدَّهر.

أمَّا نادر فمرَّ على سجنه ثمانِ سنوات من فترة سجنه التي تصل إلى عشر سنوات.

ويتبقَّى أقلّ من عامين ويغادر بعدها السّجن تاركًا صديقه ورفيقه وحيدًا.

ينتظر زهدي زيارة زوجته "إنصاف" على أحرِّ من الجمر لاسيَّما بعد أنْ أصبح وحيدًا في زنزانته الرّطبة بعدما قضى صديقه نادر الشّيوعي فترة عقوبته وغادر السّجن.

طوال تلك السَّنوات لم يسأل زهدي نفسه لماذا وضعوه وهو الإخواني مع نادر الشّيوعيّ في زنزانة واحدة.

في لقائهما شعر زهدي بأنَّ زوجته على غير عادتها لم يشعر بأنَّها كانتْ مشتاقة إليه مثل زياراتها السَّابقة.

وحاول أنْ يلتمس لها الأعذار، ربَّما مسئوليّة البيت والأولاد ومتاعب الحياة، لكنَّ الحقيقة كانتْ غير ذلك، فغيابه طال و"إنصاف" لم تعد تقوى على التَّحمّل، فذئب الرَّغبة ينهش فيها بلا رحمة.

وحلّ آخر محلّ زهدي في فراش "إنصاف" الذي عاوده الدّفء من جديد!!

أيَّام السِّجن ولياليه المتأرجحة بين برد قارص وحرٍّ شديد وبالٍ مشغول وابتسامة غائبة تمرّ ثقيلة بطيئة فيما يتبقَّى على خروجه من السِّجن خمس سنوات لحسن السِّير والسّلوك.

زيارات وأخبار "إنصاف" انقطعت عن زهدي الذي يكاد يجنّ مما يحدث.

زارته شقيقته الوحيدة مرَّتين خلال الفترة السَّابقة، كانت دائمًا تتهرَّب من سؤاله عن "إنصاف" وأحوالها ولماذا لم تحضر لزيارته.

مرَّت السَّنوات الخمسة بطيئة ثقيلة... خرج زهدي بعدها ليرى النُّور والشَّمس ويتنسَّم الهواء الملوَّث بعوادم السَّيَّارات والمصانع، ربَّما كان الأمر قبل عشرين عامًا غير ذلك.

كان بيت شقيقته هو محطّته الأولى بعد الخروج من السّجن قضى معها ومع زوجها وأولادها بضع ليالٍ لم يذق فيها طعم النّوم من الأفكار والأسئلة التي تتصارع داخله عن "إنصاف" وسرّ التَّحوّل الخطير في علاقتها به ولماذا لم تحضر لاستقباله عند خروجه من السّجن.

عاود سؤال شقيقته وبإلحاح شديد عن "إنصاف" زوجته ولماذا انقطعت عن زيارته في السّجن ولم تحضر لاستقباله عند الخروج.

ضعفتْ شقيقته أمام إلحاحه وأخبرته أنَّها تزوَّجت بآخر وأنجبتْ منه طفلًا وانتقلتْ إلى منزل الزّوج الجديد.

نزل الخبر على زهدي كالصَّاعقة لم يتمالك أعصابه وأخذ يضرب رأسه بعنف في الحائط حتَّى سالت منه دماء غزيرة وهو يردِّد: مغفل... كان لازم أفهم... كان لازم أفهم!! وخرج مسرعًا كالثّور الهائج.

اختفى زهدي ولم تفلح محاولات شقيقته في العثور عليه، بينما تهزّها المفاجأة عندما تقرأ خبر مصرع زوجه وزوجها وأبنائها

الثَّلاثة بعدما أطلق عليهم شخصٌ الرّصاص داخل منزلهم، وتشاهد صورة "إنصاف" مع زوجها وأبنائها الثَّلاثة!! وصورة القاتل أيضًا.

في السّجن يرقد زهدي المحبوس في قضيَّة مقتل خمسة أشخاص مع سبق الإصرار والتَّرصّد وحيدًا ينتظر لحظة حكم الإعدام عليه فيما تعاوده ليلًا الأحلام والكوابيس.

يرى زوجته "إنصاف" في أحضان صديقه الشّيوعي "نادر" في غرفه نومهما يتبادلان قبلات ساخنة وضحكات ماجنة فيما يلاعب ولداه وقد صارا شابّين، شقيقهما الصَّغير من الأمّ أمام المنزل بالحصان الخشبي الذي اشتراه لهما قبل أكثر من عشرين عامًا!!

تَمَّتْ

أكتوبر 2010

الهروب إلى
ارتواء غير مكتمل

غاب عنها فترة من الزَّمان لم يلتقيا، كان قد قرَّر قطع علاقته نهائيًّا بها، لم يجد فيها الأرض البكر التي يحقِّق فيها أحلامه.

كلَّما حاول غرسه فيها لفظته رغم جوعها واحتياجها الشَّديد للارتواء!!

قرَّر السَّفر بعيدًا، فالفلاحة ما عادت تجدي، فضلًا عن أنَّها لم تعد تناسب طموحه بعد حصوله على الليسانس.

رغم ابتعاده عنها بكامل إرادته حمل لقاؤه بها بعد سنوات شوقًا ولهفة عجيبين. نظر إلى اشتداد عودها واستدارتها وقد ازدادتْ جمالًا وبهاءً كأنَّها بستان تمايلتْ أزهاره وأشجاره في خيلاء.

تذكَّر آخر مرَّة أراد أنْ يدفنه فيها كان نهارًا غير عاديًّا.

فما أن التقيا وقد غمرها حُسن وبهاء كأنَّ شموس وأقمار الدُّنيا قد تجمَّعتْ حولها.

شعر برغبة متأجّجة، يريد التَّخلّص من نيران تلك الرَّغبة التي لا تقاوم، خارتْ قواه... قرَّر: لا تراجع... لا تراجع.

أخرجه من ملابسه في توتُّر وهو يلهث بشبق، ظلَّ ينظر يمينًا ويسارًا وهي ما زالتْ ماثلة أمامه بجمالها الأخَّاذ.

لم يعد يقوى على الاحتمال، لم يتمالك نفسه، أمسكه بيده وقرَّر أنْ يدفنه فيها ليفرغ جوعه المتوحِّش ثمَّ يذوب ويختفي بين أحضانها الدَّافئة.

وما أنْ همَّ بالفعل إذ بنفر من أبناء قريته وقد أحاطوه آخذين في التَّطلّع إليه بشيء من الشَّكِّ والدَّهشة.

ــ بتعمل إيه يا واد يا علي؟! وإيه المسدّس اللي في إيدك ده؟!

لم تمضِ سوى لحظات قليلة حتَّى اقتاده رجال الشّرطة إلى القسم بعد أنْ وضعوا الكلابشات في يديه.

في قسم الشّرطة ينهار على ويدلي باعترافات تفصيليَّة حول كيفيَّة تنفيذه لجريمة قتل العجوز موريس الجواهرجي بعدما فشل في سرقته لتدبير مصاريف السَّفر إلى الخارج!!

تَمَّتْ

مارس 2012

ترمادول

يتجمَّع الأصدقاء الخمسة على مقهى كوكب الشَّرق مكانهم المفضَّل للتَّلاقي وقضاء وقت الفراغ بين لعب الطَّاولة والنَّميمة والكلام في كلِّ شيء من السّياسة إلى كرة القدم حتَّى سيقان النِّساء والفتيات اللاتي يمررنَ من أمام المقهى.

لكنَّ لقاءهم في تلك الليلة لم يكن كسابق لقاءاتهم فقد حضروا تقريبًا في توقيت واحد... الثَّامنة مساءً، وهو أمر لم يعتادوا عليه إذْ كان زين هو دائمًا أوَّل مَن يحضر وآخر مَن يغادر، ثمَّ يأتي بعده بلحظات "كامل"، ثمَّ يحضر تباعًا محسن وحامد ونادر.

تحلّق الأصدقاء الخمسة حول المائدة التي توالتْ عليها أكواب الشَّاي والزَّنجبيل، وراحوا يحتسون مشاريبهم وهم يتبادلون الحديث والقفشات والنّكات الإباحيَّة وأنفاس النَّرجيلة انتظارًا لقدوم "نصَّار" الاوستورجي العائد من القاهرة ومعه كميَّة من حبوب التّرمادول المخدِّر.

كان "نصَّار" قد اتَّفق على إحضار شريط ترمادول لكلٍّ واحد منهم بناءً على طلبه مقابل 100 جنيه للشّريط.

"نصّار" الاستورجي وجد في الاتجار في الحبوب المخدِّرة لاسيَّما التّرمادول بابًا خلفيًّا للتَّربُّح وتحسين دخله.

كان يحصل على التّرمادول من ابن عمّته الذي يعمل بإحدى شركات الأدوية مقابل 20 جنيه للشّريط الواحد، في الوقت الذي يقوم "نصَّار" ببيعه للشَّباب ولكبار السِّنِّ الرَّاغبين في تحسين قدرتهم الجنسيَّة وتنشيطها مقابل 100 جنيه للشّريط، وأحيانًا يبيع الشّريط بـ 50 جنيهًا لو مزنوق في فلوس!

ألقى نصَّار بشباكه حول الأصدقاء الخمسة بعدما أدرك بحسِّه وخبرته أنَّهم يبحثون عن حبوب التّرمادول بأيّ ثمن، حيث اكتشف من خلال جلساته غير المنتظمة معهم أنَّهم يشترون الحبوب الفرط بسعر يصل لخمسة وعشرة جنيهات للحبّاية الواحدة التي تقسّم إلى أربع أو خمس أجزاء يتناول الواحد منها جزءًا صغيرًا مع فنجان شاي أو قهوة بعدها يشعر بخدر لذيذ يسري في أوصاله ويصبح كالحصان الجامح!!

خلال إحدى جلساته معهم قدَّم لكلِّ واحدٍ منهم حبَّايه ترمادول هديَّة وراح يحدِّثهم عن تلك الحبَّاية السِّحريَّة وتأثيرها، كما أخبرهم كيف يتحصَّل عليها عن طريق ابن عمّته العامل بإحدى شركات الأدوية، وحدث ما توقّعه، إذْ طلب كلّ واحد

منهم أنْ يحضر له شريطًا فأخبرهم أنَّ سعر الشّريط 100 جنيه لأنَّه أمريكاني مستورد يعني فوافقوا دون تردّد، بل واستحلفوا "نصَّار" بألَّا يقطع عنهم التَّموين كلَّما احتاجوا إليه، فأكَّد لهم أنَّه تحت أمرهم في أيّ وقت!!

في هذا اليوم صباح الخميس اتَّصل "نصار" بالأصدقاء الخمسة زين وكامل ومحسن وحامد ونادر، كلّ على حدة، وأخبره أنَّه سيحضر إلى مقهى كوكب الشَّرق في تمام الثَّامنة مساءً ومعه حبوب التّرمادول.

يحضر الأصدقاء الخمسة في الموعد المحدّد وفي توقيت واحد تقريبًا بشكل أدهش كلًّا منهم، لكنَّه سرَّها في نفسه إلى أنَّ علم كلّ واحد منهم من الآخر أنَّ نصَّار اتَّصل به وأخبره أنَّه سيحضر للمقهى في تمام الثَّامنة مساءً ومعه حبوب التّرمادول، فضحكوا بهيستريا حتّى دمعتْ أعينهم!!

السَّاعة تمام الثَّامنة مساءً و"نصَّار" لم يحضر، انتظر الأصدقاء الخمسة ساعتين حتَّى العاشرة ولم يحضر، بدأ القلق يتسرَّب إلى نفوسهم لاسيَّما وأنَّ كلَّ واحد منهم واعدَ زوجته باللقاء في الفراش مساء الليلة، وأكَّد لها أنَّها ستقضي ليلة سعيدة من ألف ليلة وليلة دون أنْ يفصح لها عن السِّرِّ!

فقدْ عقدَ كلٌّ منهم العزم على تناول نصف حبّاية من التّرمادول مع كوب شاي، بعدها يذهب إلى زوجته عنتر زمانه!!

على الجانب الآخر كانت كلُّ زوجة من زوجات الأصدقاء الخمسة قد هيَّأتْ نفسها لتلكَ الليلة الموعودة التي صادف أنَّها ليلة جمعة!!

كلّ واحدة منهنَّ أخذتْ حمَّامها وارتدتْ أجمل وأسخن ما لديها من قطع داخليَّة وتعطَّرت بأجمل العطور وأعدَّت أفخر أنواع العشاء، منهنَّ مَنْ أعدَّت فتّة كوارع، وأخرى أعدَّت حمامًا بالفريك، وثالثة أعدَّت وجبة أسماك وجمبري، كلّ الأجواء والظّروف مهيّئة لليلة حبٍّ مثاليَّة وساخنة لكلِّ واحد من الأصدقاء الخمسة زين وكامل ومحسن وحامد ونادر، لكن أتت الرِّياح بما لا تشتهي السّفن، فالسَّاعة اقتربتْ من الثَّانية عشرة مساءً والاتِّصالات تتوالى على الأصدقاء الخمسة عبر هواتفهم المحمولة من زوجاتهم و"نصَّار" لم يحضر!!

غادر الأصدقاء الخمسة مقهى كوكب الشَّرق بعد أنْ تجاوزت عقارب السَّاعة الثَّانية عشرة وهم في قمّة غضبهم يسبّون ويلعنون "نصَّار" الاستورجي الذي لم يحضر في موعده ومعه الحبّاية السّحريَّة التي كانت ستجعلهم فرسان الليلة على فراش الزَّوجيَّة

كيف سيتصرَّفون؟! وكيف سيقضون الليلة مع زوجاتهم بعد أنْ وعدَ كلّ واحد منهم زوجته بليلة ساخنة من ألف ليلة وليلة، يسهرون حتَّى الصَّباح ينهلون من بحور الحبّ والمتعة، لكن بدون (ترمادول) ماذا سيفعل الأزواج الخمسة؟! هل يقضون ليلتهم دون حافز منشّط كعادة أغلب لياليهم السَّابقة دقائق معدودات وينتهي كلّ شيء بعد أنْ تخطَّت أعمارهم الخمسين؟!

محسن كان أكثرهم تأثرًا فهو أدرى النَّاس بحالته، ويعلم مدى تأفّف زوجته غير المعلن من سرعته، فالمهمّة تبدأ وتنتهي في ثوانٍ وقبل أن تبدأ!! ذهب لأطبَّاء كثيرين دون جدوى.

كلّ واحد منهم غادر إلى بيته منفردًا مهمومًا ومشغولًا يفكِّر في كيفيّة مواجهة هذا الموقف المحرج مع زوجته.

"زين" فكَّر في الأمر واهتدى إلى قضاء الليلة بأيّ طريقة والسَّلام، فذلك أفضل من أنْ يخلف وعده مع زوجته التي تنتظره كعروس ليلة عرسها.

"محسن" قرَّر التَّجوُّل في الشَّوارع ساعة أو ساعتين حتَّى تنام زوجته!!

أمَّا كامل فقرَّر بينه وبين نفسه التَّعلّل بأيّ شيء وليكن الادّعاء بشعوره بإرهاق شديد وليلة وحتعدِّي!!

حامد فكّر في الذّهاب إلي أيّ صيدليّة وشراء حبّاية فياجرا كبديل، لكنه تراجع لأنّه لم يجرّب الفياجرا من قبل، كما أنّه يعاني من السّكّر والضّغط!!

نادر قرّر افتعال أيّ مشاجرة مع زوجته لحظة دخوله البيت حتّى يهرب من مواجهتها وتبوظ الليلة!!

رغم ذلك فقد جمعت الأصدقاء الخمسة رغبة مشتركة في كيفيّة العثور على "نصّار" وضربه علقة موت انتقامًا منه بعد أنْ خدعهم ولهف فلوس التّرمادول وخلع، لكن حيروح فين؟!

يلتقون عقب صلاة الجمعة على مقهى كوكب الشّرق، يتبادلون تحيّة باردة وتبدو نظراتهم شاردة.

يفتح "زين" الحوار المسكوت عنه بالاستفسار عن أسباب عدم حضور "نصّار" في الموعد المحدّد... فهل حدث له مكروه؟! أم خدعهم وأخذ الفلوس وخلع؟!

هم يعرفون ورشته، لم يضيّعوا الوقت، استقلّوا سيّارة "زين" وذهبوا إلى ورشة "نصّار" الاستورجي فوجدوها مغلقة فذهبوا إلى بيته فوجدوه هو الآخر مغلقًا.

سأل "زين" أحد الجيران عن "نصّار" فكانت المفاجأة التي لم تكن في الحسبان وهوتْ على رُءُوسهم كالمطرقة، فقد قُبِضَ على

"نصَّار" بالأمس في أحد الكمائن وبحوزته كميّة من الحبوب المخدّرة وهو حاليًا محبوس داخل قسم الشّرطة!!

يسود الوجوم وتعلو الدَّهشة وجوه الأصدقاء الخمسة للحظات، ثمَّ يقررون العودة إلى منازلهم، وقد بدتْ عليهم ملامح الحزن، فالموقف يزداد تعقيدًا، وما لم يحدث بالأمس لن يحدث اليوم أو غدًا، جميعهم لم يمسّوا زوجاتهم ليلة الأمس، فـ"زين" لطع قبلة على خدِّ زوجته فور دخوله البيت وتركها ودخل حجرة نومه لينام تاركًا لها، وقد تهيَّأت له وأعدَّت فتّة الكوارع الحسرة واللوع.

"كامل" ما إنْ دخل بيته حتَّى أخذ يشاهد التّليفزيون وينتقل من فضائيَّة إلى أخرى بدعوى معرفة أحوال العالم وهلْ ستقوم أمريكا بضرب إيران؟ حتَّى نامتْ زوجته!!

"نادر" افتعل مشاجرة مع زوجته بدعوى عدم قيامها بغسل قميصين قد اتَّسخا!!

"حامد" تناول عشاءه مع زوجته وأخذ يتشاءب ودخل حجرته لينام، وتركها وحيدة مع قميصها الأحمر القصير تندب حظَّها!!

أمَّا "محسن" فقد ذهب إلى بيته فوجد الهدوء يغطِّي المكان، زوجته نائمة وقد كشف قميصها الأسود السَّاخن عن جسدها

اللدن الأبيض المشرّب بالحمرة وشخيرها يعلو وينخفض، خلع ملابسه ونام إلى جوارها في هدوء!!

صباح اليوم التَّالي التقى الأصدقاء الخمسة على مقهى كوكب الشَّرق، جلسوا في صمت لدقائق قطعه "حامد" بصوته قائلًا: إيه... حنفضل قاعدين ساكتين نبصّ لبعض كده؟!

حنتصرَّف إزَّاي مع "نصَّار"؟! حنسيبه كده يضحك علينا؟! ده واخد من كلٍّ واحد 100 جنيه.

هبَّ "محسن" صارخًا: أنا واخد منِّي 200 جنيه، أصلي طلبت شريطين!!

انفجر أصدقاؤه في الضّحك الذي قطعه "زين" قائلًا: إحنا لازم نروح القسم نشوف الحكاية حتخلص على إيه؟!

"نادر" علَّق قائلًا: ولا نروح ولا نيجي، وانسوا الموضوع ده بدل ما رجلينا تيجي فيه، وبعدين دول 100 جنيه!! مش مبلغ يعني!!

"زين" ردَّ بانفعال: لأ... كلّه إلَّا إن الواد الاوستورجي ده يضحك علينا، إحنا نخطف رجلينا لحدّ القسم نشوف الواد ده حكايته إيه؟!

ينطلق الأصدقاء الخمسة من المقهى في طريقهم لقسم الشّـرطة لمعرفة ما آل إليه مصير "نصَّار" الاستورجي الذي قُبِضَ عليه من يومين وبحوزته حبوب التّرمادول المخدِّر.

يتفرَّقون داخل قسم الشّـرطة، كـلٌّ في مكـان في محاولـة لمعرفـة مصير "نصَّار" الاستورجي (ملك التّرمادول) وهو اللقـب الـذي أطلقه عليه الأصدقاء الخمسة.

"زين" علم من أحد المخبرين الذين يعرفهم أنَّ "نصَّـار" تـمَّ عرضه أمس على النِّيابة، وصدرَ حكم بالسّجن لمدّة سنة مع الشّـغل ومصادرة كميّة الحبوب المخدّرة!!

يخبر "زين" أصدقاءه بقرار النِّيابة بحبس "نصَّـار" لمـدّة عـام مـع الشّـغل ومصـادرة التّرمـادول، ويسـود صـمت رهيـب بـين الأصدقاء الخمسة.

عند مغادرتهم قسم الشُّرطة يلمحـون زوجـة "نصَّـار" تقـف باكية على باب القسم وزوجاتهم تحلقنَّ حولها تواسينها!!

في المساء كان مقهى كوكـب الشّـرَق يعـجّ بـروَّاده... رائحـة النَّرجيلة تغطِّي المكان...

فريد الأطرش يشدو برائعته (عش أنت) فيما غـاب الأصـدقاء الخمسة عن المشهد، ولم يحضـــروا إلى المقهـى كعـادتهم مسـاء كـلِّ يوم!!

تَمَّتْ

فبراير 2010

تساهيل

لا تتذكَّر تفاصيل تلك الليلة الممطرة التي خرجتْ فيها هربًا من جحيم أسرتها المفكَّكة.

فالأب ألقى بيمين الطَّلاق على الأمِّ إثر مشاجرة نشبتْ بينهما بعدما علمتْ بزواجه الثَّاني من أخرى تطوَّرت المشاجرة إلى سباب وشتائم وضرب متبادل نزفت فيه الأمّ وتقطَّعت فيه ملابس الأب.

لم تتحمَّلْ "دينا" التي تركت المدرسة في الصَّفِّ الرَّابع الابتدائيّ واتجهت لبيع المناديل والعسليَّة لتدبّر مصاريفها.

هربتْ في جنح الظَّلام ولم تجد مأوى سوى منزل العمّ الذي يعيش وزوجته العاقر بمفردها.

لجأتْ إليه في أشدِّ لحظات احتياجها إلى صدر حنون ترتمي بين أحضانه.

شعر العمّ الذِّئب بسخونة تدبّ في أوصاله، رأى في ابنة شقيقه ذات السَّبعة عشر ربيعًا فتاة مكتملة الأنوثة وامرأة تنزّ بالرَّغبة فضمَّها إلى صدره أكثر مستغلًّا نوم زوجته، وراح يلثمها بقبلات ساخنة.

حاولتْ "دينا" التَّملُّص من عمِّها وهي مندهشة لا تعلم ماذا يحدث وكيف يحدث!!

لكنَّ قبلات العمّ السَّاخنة وعضلاته المفتولة كانتْ أقوى من كلِّ المحاولات... لتصبح "دينا" امرأة في لحظات!!

راحتْ تلملم ثيابها فيما تناثرت بقع دم على فخذيها وأشيائها الدَّاخليَّة.

بكتْ بشدَّة غير مصدِّقة ما حدث وخرجتْ مهرولة تاركة منزل العمّ الذِّئب، وقدْ هلَّتْ تباشير الصَّباح، حيثُ ألقتْ بجسدها النَّحيل في إحدى الحدائق، وراحتْ في نوم عميق استيقظتْ منه في وسط النَّهار على وكزات صبيين يقتربان في العمر منها يرتديان ملابس رثَّة متَّسخة تفوح من فمهما رائحة (الكلَّة).

سألاها عن سرِّ نومها وحدها في الحديقة، حكتْ لهما قصّتها، تبادلا نظرات الشَّفقة على الفتاة مثلما تبادلا البصق واللعن على العمِّ الذِّئب!!

عرَّفاها بنفسيهما (عماد إيدز) و(هاني برشامة)!!

انضمَّتْ "دينا" إلى رفقة الصَّبيين وأدمنت الكلَّة مثلهما وراحتْ تمارس التَّسوّل على طريقتهما للحصول على نقود لشراء

الكلَّة والطَّعام، الكلَّة أولاً وقبل أيّ شيء، أمَّا الأكل "فبيتقضي بأيّ حاجة"، تلك كانت شريعة الأصدقاء الثَّلاثة!!

رغم أنَّ الصّبيين كانا ينامان إلى جوار الفتاة كلَّ ليلة، ويعلمان أنَّها لم تعد بكرًا بعدما اعتدى عليها عمّها الذِّئب وفضَّ بكارتها بدم بارد، إلَّا أنَّهما لم يفكِّرا ولو لمرَّة واحدة في مواقعة "دينا" أو النّوم معها...

ربَّما لشعورهما بأنَّها أصبحتْ شقيقة لهما ومسئولة منهما، وربَّما إشفاقًا عليها، وربَّما لأنَّ الصّبيين تجمعهما علاقة مثليَّة!!

في صباح أحد الأيّام وأثناء تواجد الرّفقاء الثّلاثة "عماد" و"هاني" و"دينا" داخل الحديقة، بعد وصوله شمَّ كلَّة، بينما يقوم رجال الدَّوريَّة الرَّاكبة بالقبض على الصّبية الثلاثة واقتيادهم إلى قسم الشُّرطة، وهناك يتعرَّضون لضغوط كبيرة للإرشاد عن زملائهم من متعاطي الكلَّة.

لم يفلح الضَّرب المبرِّح ولا وضعهم عرايا في حجرة مملوءة بالماء البارد في دفع الصّبية الثلاثة للإرشاد عن زملائهم.

يحاول أحد رجال الشُّرطة الضَّغط على دينا بالتَّحرُّش بها ومداعبة أجزاء حسَّاسة من جسدها لإجبارها على الاعتراف بأماكن تواجد أقرانها من المتسوّلين ومدمني الكلَّة.

لكن كلّ تلك المحاولات تفشل فشلًا ذريعًا ويفرج عن الصّبيه الثَّلاثة الذين يعودون إلى بيتهم الكبير "حديقة الشُّهداء" حيثُ يغطّون في نوم عميق.

في صباح اليوم التَّالي تبدأ رحلة كلّ يوم مع التَّسوّل والتّنقُّل من حارة إلى حارة ومن شارع إلى شارع.

عندما ينتصف النَّهار يمنِّي الصّبية الثَّلاثة النَّفْسَ بساندويتش حلاوة بالقشطة أو كبده إسكندراني أو جمبري، يحلمون بتغيير وجبة كلّ يوم الفول والطَّعميَّة، لكنَّهم أبدًا لم يفكِّروا في تغيير نوع المزاج الكلَّة.

يترك "عماد" و"هاني" "دينا" في الحديقة بمفردها ويذهبان لشراء طعام الغذاء بما تبقَّى معهما من نقود قليلة ساندويتش فول وساندويتش طعميَّة لكلِّ واحد من الثَّلاثة وربّنا يفرجها بالعشاء.

يقترب منها وهي جالسة بمفردها في الحديقة، يخرج لها من جيبه ورقة بخمسة جنيهات، تتجاهله في البداية، لكنَّه يصرّ، صبي يقاربها العمر أو يزيد بعام أو عامين يسرح بمناديل وعسليَّة، أسمر الوجه ليس بالبدين ولا بالنَّحيل، في عينيه بريق مميَّز وحاله من الرِّضا.

جلس إلى جوارها وعرَّفها بنفسه حسن... بائع المناديل والعسليَّة، ينفق على أمِّه وشقيقته بعد وفاة والده.

عاود مدَّ يده بالجنيهات الخمسة راجيًا "دينا" أنْ تأخذها فاستجابتْ لطلبه هذه المرَّة وهي تحتضنه بعينيها العسليّتين.

ثمَّ أخرج من الكيس الذي يحمله قطعتي عسلية وقدَّمهما إليها.

ابتسمتْ "دينا" ربَّما لأوَّل مرَّة منذ أنْ هربتْ من منزلها، شعرتْ بأنَّ الدّنيا ربَّما عادتْ لتضحك لها من جديد.

تناولتْ إحدى قطعتي العسليَّة بتلذّذ ونهم شديدين، شعرتْ وكأنَّها عادتْ إلى سنوات الطّفولة الأوْلى.

ربتَ حسن على كتفها ووعدها بأنْ يمرَّ عليها بعد يوم أو يومين، رحل حسن لكنَّ رائحته لم تبرح المكان، فيما شعرت "دينا" بسخونة تجتاح سائر جسدها!!

اختفتْ قطعتا العسليَّة والجنيهات الخمس في جيب بنطالها الجينز المتهرِّئ، وقدْ قرَّرتْ بينها وبين نفسها ألَّا تخبر رفيقيها "عماد" و"هاني" بحقيقة ما حدث لها وما دار بينها وبين الصّبيّ "حسن" بائع المناديل.

ربَّما لشعورها بأنَّ ذلك الشّيء يخصّها وحدها، وربَّما حتَّى لا تغضبهما، فهما يغاران عليها بشدَّة.

يبدأون يومهم كالعادة بالتَّسوّل والتّنقّل بين البشر يطلبون منهم نقودًا أو طعامًا.

"دينا" بدأتْ تشعر بالتَّأفّف من شمِّ الكلَّة وتسأل نفسها لماذا تفعل ذلك؟

لماذا تضيع ما يقع في أيديها من نقود على تلك اللعنة؟!

لماذا لا تشتري بها تتحصَّل عليه من نقود جلبابًا أو فستانًا أو حتَّى عروسة، فهي لم تحمل عروسة كأقرانها من الأطفال.

اتخذت القرار الصَّعب، والذي رأتْ أنَّه تأخَّر كثيرًا بالإقلاع عن شمِّ الكلَّة.

بدأتْ "دينا" تجمع ما تتحصَّل عليه من نقود وتضعه في كيس صغير أخفته بين طيَّات ملابسها.

رفيقاها "عماد" و"هاني" اندهشا من قرارها بالإقلاع عن شمِّ الكلَّة، سألاها عن السَّبب فأخبرتهم بأنَّها لا ترى أيَّ فائدة من تناول هذا المزاج اللعين، كما أنَّ النّقود التي يتحصَّلون عليها من الأوْلى أنْ يحضروا بها طعامًا أو يشتروا بها ملابس جديدة بدلًا من أنْ يشمّوا بها كلَّة.

"دينا" رجتْ رفيقيها أنْ يفعلا مثلها ويقلعان عن الكلَّة. فتبادلَ الرَّفيقان نظرة ناريَّة ساخرة رميا بها رفيقتهما، ثمَّ قاما

بضربها وحاولا الاعتداء عليها، إلَّا أنَّها فشلا فتركاها تبكي وتلملم ملابسها الممزَّقة ورحلا.

قبل أنْ يلوح الفجر في الأفق كانتْ "دينا" تحمل كيسًا بلاستيكيًّا يحوي ملابسها البالية والنّقود التي تقوم بتحويشها وقطعتي خبز وقطعة العسليَّة التي حصلت عليها من الصّبيّ بائع المناديل.

تركتْ دينا الحديقة والرَّفيقين وهربتْ للمرَّة الثَّانية من العالم الموحش الظالم الذي مازال يسحقها ويدير لها ظهره.

بحث الرَّفيقان عن رفيقتهما في كلِّ مكان، لكن فشلا في العثور عليها كأنَّها فص ملح وداب.

مرَّتْ شهور اختفتْ فيها "دينا" عن الحديقة وعن رفيقيها في رحلة التَّسوّل "عماد إيدز" و"هاني برشامة".

وفي إحدى ليالي الشِّتاء القارص شاهد الصّبيَّان "دينا" بصحبة بائع المناديل تتأبّط ذراعه اقتربا منهما واستوقفا الفتاة، سألاها أين كانتْ طوال تلك الفترة؟! وما علاقتها بهذا الشَّاب، ولماذا تتأبّط ذراعه؟!

هو زوجي، تزوَّجته من شهور، وربّنا تاب عليَّا من عيشة التَّسوّل وعايشه كويس والحمد لله!!

سقط ردُّها على الصّبيين "هاني" و"عماد" كالصَّاعقة، همَّا بضربها فتصدَّى لهما زوجها الشَّاب بائع المناديل.

استلَّ عماد من جيبه سكينًا صغيرة طعن بها بائع المناديل زوج "دينا" طعنة نافذة بالبطن فمات في الحال.

"دينا" أخذتْ تصرخ وتلطم الخدود على زوجها الذي مات أمام عينيها وسط تجمُّع عددٍ كبير من المارَّة قاموا بتغطية جثَّة الشَّاب بأوراق الصّحف، فيما لاذ الصّبيَّان بالفرار.

بعد أيَّام عُثِرَ على جثَّتي الصّبيين "عماد" و"هاني" مدرّجين في دمائهما وقد قطع عضويهما الذَّكري بطريقة وحشيَّة.

"دينا" تحمل طفلتها الصَّغيرة "تساهيل" على ذراعها اليمنى فيما تحمل على الذِّراع اليسرى شنطة المناديل والعسليَّة، تبيع للمارَّة وروَّاد الحديقة.

تَمَّتْ

مايو 2010

رجل المحمول

يواصل رحلة كلِّ يوم في البحث عن مكان بميكروباص إمبابة للعودة إلى منزله بعد يوم شاقٍّ من العمل بإدارة البريد.

يستوقفه شابَّان في العقد الثَّاني من العمر يعملان مندوبي مبيعات لإحدى شركات المحمول، يسألانه عن شبكة المحمول التي يستخدمها ونوع الجهاز الذي يحمله، ويعرضان عليه الاشتراك في مسابقة السَّحب على أرقام الحظِّ التي تنظّمها الشّركة وتقدِّم للفائزين من أصحاب الحظِّ السَّعيد جوائز ماليَّة وأجهزة محمول حديثة، والأمر لن يكلِّفه سوى قيمة السَّحب عشرة جنيهات فقط لا غير.

سيّد الموظَّف المطحون لا يبدي اقتناعًا بحديث وعرض الشَّابين فهو لا يصدِّق تلك المسابقات، ويعتبرها نوعًا من النَّصب المقنَّع والضّحك على البسطاء والغلابة.

يحاول الاعتذار للشَّابين إلَّا أنَّهما يحاصرانه ويلحَّان عليه بشدَّة، فهو لن يخسر سوى عشرة جنيهات قيمة رقم السَّحب، وقد يكسب جائزة ماليَّة تتراوح بين ألف وعشرة آلاف جنيه أو أجهزة محمول حديثة يصل ثمنها إلى 2000 جنيه.

تحت إلحاح الشَّابين يوافق "سيّد" على سحب أحد الأرقام، فيظهر رقم (13) تبدو عليه علامات الصَّدمة وخيبة الأمل.

الشَّابان يهتفان في حماس: مبروك يا أستاذ أنت كسبت معانا جهاز محمول حديث ثمنه 2000 جنيه.

يقدِّم الشَّابان جهاز المحمول الهديَّة لـ"سيّد" الذي لا يصدِّق نفسه ويعتقد أنَّها خدعة، وربَّما تكون الكاميرا الخفيَّة، يتراجع خطوات للخلف وهو يلتفت يمينًا ويسارًا إلَّا أنَّ الشَّابين يودعانه وينصرفان في هدوء.

يحمل سيّد جهاز المحمول الهديَّة وهو مايزال غير مصدِّق، دقَّات قلبه تتسارع، القلق مازال يساوره.

ربَّما الشَّابان ضمن عصابة لسرقة أجهزة المحمول، وما هي إلَّا لحظات ويتمّ القبض عليه متلبِّسًا بأحد الأجهزة المسروقة المبلغ عنها!!

ربَّما هذان الشَّابان يمارسان النَّصب على طريقتهما يعطيانه جهاز المحمول على أنَّه هديَّة من إحدى الشَّركات التي يعملان بها مقابل مبلغ السَّحب العشرة جنيهات، ثمَّ يصيحان على الملأ حرامي... حرامي، فيضطر أنْ يترك لهما جهاز المحمول، ويجري خشية الفضيحة، ويكون قد خسر العشرة جنيهات أونطة!!

يلمح سيّد فجأة ميكروباص إمبابة مكتظًّا بالرّكَّاب كما علب السّردين يجري مسرعًا يتشعبط في الميكروباص الذي ينطلق مسرعًا.

يستردّ بعض أنفاسه المقطوعة ويهدأ بعض الشّيء.

يصل إلى منزله وقد نال منه الإرهاق النَّفسيّ والبدنيّ، يدخل غرفة نومه مسرعًا، يبدأ البحث عن مكان يخفي فيه جهاز المحمول الهديَّة، لا يجد سوى دولاب ملابسه، حيثُ يدسّه داخل ذلك

الجاكت القديم الكالح الذي لا يرتديه منذ فترة بعد أن تآكل بفعل الزَّمن، يضع فيه جهاز المحمول وهو يشعر بنوع من الاطمئنان.

تدخل عليه زوجته الحجرة تسأله في لهفة: مالك؟

ــ مفيش حاجة.

ــ طب مسافة ما تغيَّر هدومك أكون حضَّرتلك الغدا.

ــ مليش نِفْس دلوقت، أنا حانام شويه ولما أصحى أبقى أتغدَّى.

ــ فيه إيه يا سيّد مالك؟

ــ قلت لك مفيش حاجة، تعبان شويَّة وعايز أنام.

ــ طيب براحتك، نام يا أخويا ولما تصحي أجهّزلك الغدا.

يغطّ سيّد في نوم عميق يتخلّله كوابيس مزعجة يرى فيها أشخاصًا يدخلون عليه حجرة نومه فجأة، وهو نائم ويقتادونه إلى مكان يشبه السّجن.

يستيقظ مفزوعًا من نومه، يتَّجه إلى الثَّلَّاجة، يشرب بعض المياه المثلّجة ينعش بها حلقه الجاف.

يجلس على أحد كراسي السُّفرة ويشعل سيجاره، تأتيه زوجته "زينب" بالطَّعام وقد ارتدتْ قميص نومها الأحمر الشَّفَّاف الذي أكل عليه الدَّهر وشرب، لكنَّه كان وما زال مصدر إثارة ومتعة "سيّد" الذي كان دائمًا ما يطلب من زينب أنْ ترتديه له في معظم لياليهما الحميميَّة.

لكنَّ "سيد" لم يلتفت لإغواء زوجته، لم يثره ثديها الأبيض الشَّهيّ ولا مؤخِّرتها الرَّجراجة، كان شاردًا في عالم آخر يفكِّر في المصيبة التي حلَّتْ به، وجهاز المحمول الهديَّة الذي أصبح مثل الشَّبح الذي يسكن معه في بيته يقلق راحته.

في الصَّباح كان يعدّ شنطة السَّفر ويضع جهاز المحمول الحديث الذي حصل عليه كجائزة من إحدى شركات المحمول بين طيَّات ملابسه.

لم يجد بديلاً عن السَّفر إلى بلدته بالصَّعيد ليتخلَّص من جهاز المحمول، فهو مازال على قناعة بأنَّ حصوله على هذا الجهاز الحديث الغالي الثَّمن أمرٌ غير طبيعيّ وغير مريح، وأنَّ في الأمر

خدعة وأنَّ مصيبة حتمًا ستحلّ به؛ بسبب هذا الملعون، فكان لابدَّ من التَّخلُّص منه ببيعه لأيِّ شخص من أبناء بلدته ويستفيد هو من عوائد بيعه، والتي تصل لأكثر من 2000 جنيه حسبما أكَّد له الشَّابان.

يخبر "سيّد" زوجته "زينب" أنَّه مسافر يومين إلى بلدته بالصَّعيد للاطمئنان على أحد أعمامه، فقد علم أنَّه مريض خلال اتِّصال تليفونيٍّ بالأمس مع ابن عمِّه وأنَّ ذلك سبب حزنه وشروده ليلة أمس!

تقتنع "زينب" بحكاية "سيّد" المصطنعة، وتودّعه بقبلة حانية وسلامات للأهل والأحباب هناك!!

يصل إلى بلدته في ساعة متأخِّرة من الليل يلتقي بأحد أقاربه ويعرض عليه جهازه المحمول، ويخبره أنَّه اشتراه منذ أيَّام ويريد بيعه لحاجته للمال، ويحدِّثه عن مزاياه وإمكانيَّاته، لكنَّ قريبه يعتذر له، ويخبره بأنَّه ليس في حاجة إليه، لكنَّه سيدبّر إليه المبلغ الذي

يحتاجه، لكن "سيّد" يرفض عرض قريبه ويطلب منه البحث له عن مشترٍ في الصَّباح.

يشعر بأنَّه سيتمكَّن أخيرًا من النّوم هانئًا بعد ساعات من القلق والتَّوتّر ويغطّ في نوم عميق، ومع حلول ساعات الفجر الأولى يصحو على صوت طلقات ناريَّة تتواصل بلا انقطاع.

الذُّعر والهلع يتسلَّلان إليه، يخرج لاستطلاع الأمر، فيخبره أحد أبناء القرية وقد بدتْ عليه علامات الخوف والذّعر أنَّ قوَّات الأمن تطارد عددًا من المطلوبين أمنيًّا من المجرمين.

يدخل سيّد إلى بيته مسرعًا، يعدّ حقيبة ملابسه ويقرِّر مغادرة القرية في الحال، فربَّما تهاجم قوَّات الأمن منزله وتجد عنده التّليفون الذي ربَّما يكون مسروقًا أو استخدم في عمليَّة إجراميَّة أو ربَّما إرهابيَّة حتمًا سيكون السّجن مصيره.

يصل إلى محطّة القطار وهو يلهث، وبعد نصف ساعة يحلّ القطار المتَّجه إلى القاهرة التي يصلها بحلول السَّابعة مساءً، يستقلّ ميكروباص إمبابة الذي لا تمرّ دقائق إلَّا ويستوقفه أحد الأكمنة الأمنيَّة، شأنه شأن كلّ السَّيَّارات المارَّة.

يتسرَّب القلق والتَّوتّر مرَّة أخرى إلى سيِّد، فربَّما يقوم رجال الأمن بتفتيش الرّكَّاب وحقائبهم، يقرِّر التَّخلُّص من جهاز المحمول، فيلقيه أسفل الكرسي الذي أمامه، يمرّ الميكروباص من كمين الشُّرطة مرور الكرام، يستردّ "سيّد" بعض أنفاسه المتقطِّعة، ينظر أسفل الكرسي الذي أمامه فلا يجد المحمول، يغلي الدَّم في عروقه، يتابع الرَّاكب الذي أمامه وقد التقط جهاز التّليفون المحمول من على الأرض ودسّه داخل جيب الجاكت الذي يرتديه، بعد أن أطمأنَّ أنَّ أحدًا لم يره يستشيط "سيّد" غضبًا.

ينزل الرَّاكب وهو شاب لم يتجاوز الثَّلاثين عامًا في المحطَّة التي تسبق إمبابة يلحق به "سيّد"، يتتبَّعه كمخبر يراقب لصًّا إلى أنْ يدخل الشَّاب أحد محلَّات بيع أجهزة المحمول.

ينتظر "سيّد" على مقربة من المحل يراقب الشَّاب الذي يخرج بعد دقائق، وقد أخذ يعدّ رزمة من الأوراق الماليَّة فيما علت وجهه ابتسامة كبيرة!!

تَمَّتْ

ديسمبر 2010

زخّات حميمة لليلة شتويّة

كانتْ عقارب السّاعة تشير إلى الثّامنة مساءً، البرد القارص والأمطار الغزيرة سيّدا الموقف، الأمّ تصرخ من شدّة الألم... تعاني من مرض الرّوماتويد من سنوات.

توفي الزّوج وسافر الابن الأكبر للعمل بالخليج وتزوّجت الابنة الوسطى من موظّف بإحدى شركات الزّيوت بالبحيرة لم يتبقَّ معها سوى الابنة الصُّغرى دلال.

كانتْ على درجة كبيرة من الجمال والدّلال.

اكتفتْ بالحصول على الثّانويّة العامّة واتجهت للعمل بأحد محلّات الملابس بوسط البلد للمساعدة في مصروف البيت الذي لا يتحمّله معاش الأبّ الموظّف بالدّرجة الثّالثة، والذي رحل عن الدُّنيا من خمس سنوات.

تسرع دلال في ارتداء ملابسها... عباءة سوداء تجلي التّفاصيل الدّقيقة لجسدها اللدن.

تذهب إلى الصّيدليّة، حيث تشتري حقن الرّوماتويد لأمّها، ثمّ تخرج مسرعة نحو مكتب الاتّصالات للاتّصال بأمّ سيّد الممرّضة السّابقة بمستشفى الدِّمرداش والتي أصبحتْ على المعاش من أكثر من 6 سنوات، حيثُ تقوم بإعطاء الحقن والتّمريض في المنازل كمصدر دخل إضافي لها ولأسرتها المكوّنة من 4 أبناء وزوج قعيد لا يتحرّك إثر إصابته بالشّلل.

الأمطار الغزيرة تبلّل ثوب دلال الأسود لتكشف كنوز جسدها الشّهي.

تدخل مكتب الاتّصالات وتطلب رقم أمّ سيّد المحمول، لكن يأتيها الرَّد على غير المعتاد، فالصّوت ليس صوت أمّ سيّد ولا حتّى أبو سيّد!!

ــ ألو مين معايا!!

ــ أنتي مين؟! أنتي اللي طالبه؟!

ــ أنا طالبة أمّ سيّد الممرِّضة؟!

ــ لا، النّمرة غلط للأسف... لو في حاجة أقدر أقوم بيها، أنا تحت أمرك ؟!

ــ لا، شكرًا.

تهمّ دلال بغلق سمّاعة الهاتف، لكنَّ الطَّرف الآخر يطلب منها أَلَّا تغلق السَّمّاعة... بل يستحلفها بالله أَلَّا تفعل!!

تستجيب تحت تأثير قوَّة خفيَّة لا تعلم كنهها لنداء الطّرف الآخر... ذلك الشّخص المجهول الذي لا تعرفه ولا يعرفها... ذلك الشّخص الذي ساقه القدر إليها دون سابق إنذار.

كان له تأثير عجيب عليها... طلب منها أنْ تنتظر وألَّا تغلق السَّمّاعة، ففعلت دون تفكير أو تردّد، تشعر بخدر لذيذ في سائر أنحاء جسدها مشاعر وأحاسيس تتذوَّق رحيقها لأوَّل مرَّة.

راحا يتحدَّثان لأكثر من نصف ساعة... الأرجح أنّه كان يتحدَّث وكانت هي تنصت بتلذّذ لا تعرف سرّه كشف لها منابع اللذَّة والمتعة

وكنوز جسدها الشّهي اللدن في لحظات الصّدفة... كنوز كانت تجهلها وربَّما تتجاهلها، تعرَّقت وتبللت... غابت عن الدُّنيا... عن النَّاس... عن العالم نسيت حقنة الرّوماتويد... نسيت أمّها المريضة والبرد القارص والأمطار التي مازالت تهطل بغزارة في الخارج.

تستجمع دلال شتات نفسها مرَّة أخرى وتطلب من صاحب مكتب الاتّصالات الرَّقم الذي طلبته في البداية رقم أمّ سيّد.

تكتشف أنَّ صاحب مكتب الاتّصالات أخطأ في رقمين متتالين في المرَّة الأولى كانا سببًا فيما جرى، وسار وبعد تصحيح الرَّقم يأتيها صوت أمّ سيّد وقد أفاقتْ من نوم عميق.

ــ ألو مين معايا؟

ــ أنا دلال يا أمّ سيّد تعالي بسرعة ماما محتاجة الحقنة دلوقتي حالًا.

ــ حاضر يا بنتي أنا جيالك على طول.

تغادر "دلال" مكتب الاتّصالات وقد توقَّفت الأمطار عن الهطول تشعر بأنَّ ساقيها لا تقدران على حملها.

تصل إلى منزلها بصعوبة شديدة فيما تواصل أمّها الصّراخ من شدّة الألم.

تحضر أمّ سيّد بعد دقائق وتعطي حقنة الرّوماتويد لأمِّ دلال التي تهدأ وتروح في نوم عميق.

تودِّع دلال "أمّ سيّد" وتدخل لتأخذ حمَّامًا دافئًا يزيل آثار ما كان.

تحاول ولأوّل مرّة اكتشاف كنوز جسدها اللدن تحت زخّات الماء المتساقط من الدّشّ تستعيد كافّة التّفاصيل، فتشعر بخدر لذيذ يسري في أنحاء جسدها... الماء السّاخن يعيد إليها الوهج... توشك أنْ تتبلّل من جديد، تستبدل الماء السّاخن بالماء البارد، وتخرج مسرعة من تحت الدّشّ، تتدثّر بردائها الورديّ وتعدّ لنفسها كوبًا من الشّاي بالنّعناع تتناوله في فراشها وتغطّ بعده في نوم عميق.

أثناء عملها بمحلّ الملابس الجاهزة، يتقدّم منها شاب في منتصف الثّلاثينيّات يطلب منها قميصًا وبنطلونًا من إحدى الماركات الشّهيرة.

تقف دلال مبهوتة أمام الشّاب فارع الطّول واسع العينين، قمحيّ البشرة، أسود الشّعر وقد ترك لشعره العنان فانطلق في شكل خصلات صغيرة مبلّلة زادته حسنًا وجاذبيّة.

عرفته من نبرة صوته... هو الصّوت نفسه الذي هاتفها بطريق الخطأ عندما كانت تطلب أمّ سيّد هو مَن كشف لها منابع اللذّة وكنوز جسدها الخفيّة.

يلاحظ الشّاب أنّ الفتاة تقف متسمرّة في مكانها مبهوته، فيطلب منها إحضار طلبه لأنّه في عجلة من أمره.

هل لم يفطن إلى صوتي مثلما فطنت إلى صوته؟!

دلال تسأل نفسها فيما يحصل الشّاب على طلبه ويغادر المحلّ مسرعًا تاركًا لها الحيرة والذّهول، هلْ تخرج مسرعة للحاق به؟! هل تستوقفه وتذكّره بما كان بينهما من أيّام؟! وهل يتذكّر؟!

بعد انتهائها من عملها بمحلِّ الملابس في تمام الخامسة عصرًا تشعر دلال بالرَّغبة في تناول الأيس كريم تدخل محلَّ الحلويات الشَّهير بوسط البلد تطلب كوب أيس كريم مشكّل شيكولاته وفراولة وفستق وحليب، تتناول الأيس كريم وهي في طريقها إلى محطَّة السَّادات لتستقلّ المترو عائدة إلى منزلها في المطريَّة.

تستطيع أنْ تنتهي من كوب الأيس كريم قبل دخولها عربة المترو المزدحمة كعادتها بحشود من البشر، تستند بظهرها إلى العمود المعدني داخل عربة المترو، وتسرح بذهنها وكلّ حواسها في ذلك الشّاب الذي شاهدته اليوم في محلِّ الملابس وتعرَّفت عليه من صوته الذي لم تنسه، فهو الشّاب الذي هاتفتة بطريق الخطأ، فكان ما كان في تلك الليلة الممطرة.

تشعر برغبة جامحة في رؤيته مرَّة أخرى، في سماع صوته واستعادة كلّ ما دار بينهما بكلِّ تفاصيله.

الدِّماء تنتشر... تغلي في جسدها... تزداد قبضة يدها على العمود المعدني بعربة المترو وتزيد دقَّات قلبها!!

تحاول جاهدة تنشيط ذاكرتها وتذكّر رقم تليفون ذلك الشّاب دون فائدة، تمنَّت لو ذهبت إلى صاحب مكتب الاتّصالات وطلبتْ منه رقم ذلك الشّاب!!

تنزل محطّة المطريَّة في طريقها إلى منزلها، السَّاعة تقترب من السَّادسة مساءً.

تعدِّل دلال من خططها وتتوجَّه إلى مكتب الاتّصالات الذي دخلته قبل أيّام وقادتها الصّدفة لمحادثة ذلك الشّاب بطريق الخطأ.

تطلب أمّ سيّد التي تردّ عليها بعفويَّة:

فيه حاجة يا دلال يا بنتي؟! أمّك تعبانة ولّا حاجة؟! محتاجة حقنة أجيلكم دلوقت؟! هه ردِّي عليَّ يا دلال يا بنتي.

دلال لا تردّ... هي في عالم آخر نسيت أمّ سيّد... نسيت حقنة الأمّ وراحت تستعيد وتعيش كافَّة تفاصيل اللقاء الحميم الذي كان!

خدر لذيذ يجتاح سائر أعضاء جسدها الحار.

تعود إلى منزلها في تمام السَّاعة السَّابعة مساءً،وتتأهَّب لتأخذ حمَّامًا باردًا يزيل آثار بلل تدفّق حارًّا من لحظات أثناء استعادتها تفاصيل لقائها التّليفونيّ الحميم بذلك الشَّاب المجهول.

تتناول كوبًا من الشَّاي بالنِّعناع داخل شرفة منزلها، وقد غاصتْ ببصرها نحو اللانهائيّ... عاودتْ صورة الشَّاب مطاردتها.

صوته الذي لم تنسه، يناديها، يلحّ عليها، الحيرة تستبد بها، وماذا تفعل؟! هلْ تطوف شوارع القاهرة شارعًا شارعًا؟ وحارة حارة حتَّى تعثر عليه؟!

إيه اللي أنا فيه ده؟! إيه اللي حصلِّي؟!

ما أنا كنت عايشة وراضية وحياتي فاضية، حتَّى الحاجات دي فين وفين لما كنت بفكَّر فيها.

إيه اللي جرى يا دلال؟ أنتي لازم تنسي الشّخص ده ياما مرّ عليكِ رجَّالة أشكال وألوان وده في الأوّل وفي الآخر زبون زي أيّ زبون.

هكذا كانت دلال تتحدَّث مع نفسها بصوت العقل والحكمة، لكن صوت العاطفة والغريزة أبى!!

لا مش ممكن يكون اللي بيحصلّك ده مش قدرك اشمعنى الزَّاجل ده الوحيد اللي مش قادرة تنسيه من يوم ما سمعتي صوته؟! ليه صورته بتطاردك دايمًا؟! وحتتجنني علشان تشوفيه؟! أقولك ليه؟!

علشان هوَّه اللي فتح عينيك على كنوزك المخفيَّة وكشف لك منابع اللذَّة المكبوتة جوَّاكي من سنين طويلة من الآخر الشَّخص ده هوَّه اللي حسّسك بأنوثتك وجمال جسمك.

الصّراع بين صوت العقل وصوت العاطفة والغريزة يشتدّ على آخره، ودلال مثل الأرجوحة تتمايل يمينًا ويسارًا بين ذلك وذاك.

صوت الأمّ المنتحب الآتي من الدَّاخل يقطع على دلال حيرتها وخلوتها.

ــ دلال، انتي فين يا بنتي؟!

ــ أيوه يا ماما عايزه حاجه؟!

ــ تعبانه أوي يا بنتي، روحي نادي أمّ سيّد تيجي تدّيني الحقنة، أنا تعبانة قوي يا بنتي.

ــ حاضر يا أمّي، ريحي نفسك ومتتحرّكيش حانزل أنادي أمّ سيّد وأرجع بسرعة.

بعد دقائق تعود دلال بصحبة أمّ سيّد، تفتح باب حجرة نوم أمّها تجدها نائمة، تحاول إيقاظها دون فائدة... ماتت أمّ دلال لتنتهي أوجاعها إلى الأبد!!

دلال تقف مبهوتة غير مصدّقة، صرختها المكتومة تكاد تخترق جدران الصّمت.

تحتضن جسد أمّها المسجّى وتبكي بشدّة، وتخرج صرختها المكتومة... لا تعلم إنْ كانت تبكي وتصرخ حزنًا على أمّها التي ماتتْ وتركتها وحيدة؟! أم على انقطاع صلتها بأمّ سيّد وتليفون أمّ سيّد الذي يذكّرها دائمًا بالحبيب المجهول الذي عاشتْ مع صوته أجمل لحظات عمرها داخل كابينة تليفون!!

أم حزينة على الاثنين معًا؟!

بعد مرور عامين على وفاة الأمّ... عقارب السَّاعة تشير إلى السَّابعة مساء السَّبت الخامس من يونيو 2004 تحضر أمّ سيّد إلى منزل دلال لتعطيها الحقنة المسكّنة لآلام الرّوماتويد التي تلازمها منذ أكثر من عام!!

تَمَّتْ

مايو 2008

سلّملي عليه

وسط ظروف اجتماعيَّة واقتصاديَّة متقاربة، تجمع الصَّداقة ثلاث فتيات يعانين شبح العنوسة.

سمر ذات المشاعر المثليَّة... ندى أنثى جميلة بكلِّ ما تحمل الكلمة من معنى... رضوى فتاة جريئة، متحرِّرة، شبقة!!

تعيش الفتيات الثَّلاثة مرحلة العنوسة بكلّ مواقفها الحزينة والكوميديَّة!!

بعد فترة من الصّراع تقرّر ندى إجراء عمليّة جراحيّة لتتحوَّل إلى رجل كنوع من التَّمرّد.

ربَّما التّمرد على الظُّروف، وربَّما على العادات والتَّقاليد.

تبلِّغ ندى رفيقتيها بقرارها... رضوى تقابل قرار ندى باستهجان شديد، فيما تبدي سمر سرورًا وإعجابًا بقرار صديقتها.

وتطلق نظرة ناريَّة ماكرة ذات مغزى نحو ندى التي تفهم فحوى نظرات سمر التي كثيرًا ما جمعتها بندى لحظات حميميَّة دافئة في الفراش بمنزليهما.

قبل أيّام من إجراء ندى للعمليّة الجراحيّة تقع مفاجأة لم تكن في الحسبان، إذ يتقدَّم لها عريس محامي يكبرها بعشر سنوات أو أكثر، تراه أسرتها عريسًا مناسبًا.

حتَّى لو كان غير مناسب، أنا مضطرة أوافق، أنا عندي دلوقتي 35 سنة، هكذا قالتْ ندى لصديقتيها.

رضوى صديقة ندى تراجعتْ وتعاطفتْ مع صديقتها، بل وفجَّرت هي الأخرى المفاجأة عندما أخبرتْ صديقتيها أنَّها وافقت على الزَّواج من سعد الحدَّاد!!

تصرخ سمر في وجهها: أنتي اتجننتي دكتورة تتجوّز حدّاد؟!

تردّ رضوى: أهه رجل والسَّلام، أنا تعبت يا بنت الجزمة!!

سمر بدأتْ تفكِّر في مصيرها والوحدة التي تنتظرها بعد زواج صديقتيها وكيف ستعيش بمفردها.

هل تبحث عن صديقة من جديد؟! أم تبدأ رحلة البحث عن زوج؟ لكن هذا الزّوج لابدَّ أنْ يكون ذو مواصفات خاصَّة؛ فهي تخطَّتْ الـ 35 من عمرها.

هل ترضخ وتقبل بفكرة الزَّواج من صلاح أفندي الحسيني الموظَّف الكبير بوزارة الماليَّة والذي سيخرج على المعاش بعد عام عندما يبلغ السّتين، ولديه 8 أبناء أكبرهم في عمر سمر، والذي تقدَّم للزَّواج منها قبل أكثر من عام؟!

تعيش ندى أجواء فرحة حقيقيَّة خلال حفل زفافها الذي حضرته صديقتاها رضوى وخطيبها سعد الحدَّاد وسمر التي حضرتْ بمفردها واتخذتْ أحد الأركان ترقب ما يحدث، شاردة تفكِّر في مصيرها.

فها هي ندى تزوَّجتْ وستلحق بها رضوى بعد أيَّام لتبقى هي وحيدة، تخرج مسرعة دون حتَّى أنْ تودِّع العروس أو صديقتها رضوى، تبحث عن وسيلة للوصول إليه، لكنَّها لا تعرف له عنوانًا أو تليفونًا.

في الصَّباح تهتدي إلى عنوان الشّركة التي يعمل بها صلاح الحسيني الموظّف الكبير.

تسأل عن مكتبه، يخبرها موظّف الاستقبال بأنَّه في الدّور الرَّابع تصعد إلى مكتبه، أربعة موظَّفين يجلسون على مكاتبهم، وقد حاصرتهم مجموعة من الملفَّات والأوراق.

فيما يبدو المكتب الخامس الذي يتوسَّط المكان خاليًا، تسأل سمر عن صلاح أفندي الحسيني، يخبرها أحد الموظَّفين، وكان قصير القامة يتدلَّى كرشه أمامه، وقد سال لعابه على سمر.

صلاح أفندي سافر إلى الاسكندريَّة مع المدام.

تسأله: المدام والأولاد.

يخبرها ومازال يحدِّق فيها بنهم: أكيد!!

في الصَّباح تستيقظ سمر على تليفون من صديقتها رضوى.

ــ أيوه ازيّك يا بت، عاملة إيه؟!

على فكرة أنا فرحي الخميس الجاي، اوعي متجيش.

ــ ألف مبروك يا رضوى أكيد حاجي... سلام.

تضع سمر سمَّاعة التّليفون، تدخل تأخذ حمَّامًا دافئًا وترتدي ملابسها وتخرج في طريقها إلى الشّركة التي يعمل بها صلاح أفندي الحسيني.

تنتظر عند الباب حتَّى ينتصف النَّهار.

تدخل الشّركة تسأل موظّف الاستقبال.

ــ هوَّه لسَّه مجاشي؟!

ــ متعرفش حيرجع امتى؟!

ثمَّ تستوقف تاكسيًّا تستقلّه وتمضي...

فيما يشدو كاسيت السَّيَّارة برائعة فيروز سلّملي عليه...

تَمَّتْ

فبراير 2012

سيند اوول

يستعدّ لكتابة رسالة إلكترونيّة يرسلها لأصدقائه ومحبّيه تتضمّن خبر انتحاره لشعوره بالوحدة والاكتئاب بعدما تُوفيّتْ زوجته وهاجر الأبناء إلى الخارج.

قرَّر ونيس إرسال رسالته الإلكترونيَّة في تمام الواحدة صباح السَّبت 2 أبريل.

بعد انتهائه من كتابة رسالته مساء الجمعة 25 مارس يقوم بطريق الخطأ بالضّغط على ذرّ إرسال للجميع " Send All".

ــ يا إلهي رسالتي وصلت للجميع الآن وقبل موعدها بأسبوع... ماذا أفعل؟! الكلّ علم الآن، وربّما صباح الغد أنّني مت انتحارًا وانتقلتُ إلى الرَّفيق الأعلى، ربَّما يأتون غدًا لتقديم العزاء.

لابدَّ من تنفيذ ما أقدمت عليه الآن... لكن هناك بعض الأمور المعلّقة لابدَّ من الوفاء بها قبل تنفيذ قرار الانتحار...

عليَّ سداد بعض الدّيون الماليَّة البسيطة.

مشاهدة فيلم "طعام وصلاة وحبّ" لجوليا روبرتس.

وضع مبلغ مالي لصالح مستشفي السّرطان.

رؤية مديحه أوَّل امرأة عشتُ معها قصّة حبّ أريد رؤيتها وقضاء بضع لحظات في كنفها قبل الانتقال إلى العالم الآخر.

استمتع بسحر عينيها السّوداويين وابتسامتها الملائكيَّة... لكنَّها متزوّجة، وتعيش في كنف رجل آخر أيضًا، كيف لي أنْ أوفي بكلِّ تلك الالتزامات وأنا في حكم الميّت؟!

غالبًا سيتطوَّع البعض بإبلاغ الشّرطة بخبر انتحاريّ وحتمًا ستأتي إلى شقَّتي على أنْ أغادرها فورًا... لكن إلى أين؟!

لا يهمّ، المهمّ ألَّا يأتي أحد إلى هنا ويجدني مازلتُ على قيد الحياة!!

يحزم حقيبة ملابسه، يضع بداخلها كلَّ ما بحوزته من أموال، حوالي عشرة آلاف جنيه.

يغادر شقَّته الثَّالثة فجرًا...

يجلس على كورنيش النّيل...

يفكِّر أين يذهب؟! وما هو المكان الأمن الذي يمكن أنْ يأوي إليه لمدّة أسبوع ينهي خلاله كلَّ أموره المعلّقة قبل أنْ ينفّذ قرار الانتحار.

تأخذه سنة من النّوم، يستيقظ في تمام الثَّامنة صباحًا على صوت جلبة وصياح وهتافات مدوّية، وقد خرج حشد من الموظّفين في تظاهرة كبيرة احتجاجًا على تردِّي أوضاعهم الماليَّة.

يحاول استطلاع الأمر ومعرفة ما يحدث، فيجد نفسه مدفوعًا مع الحشود المتظاهرة حاملًا حقيبة ملابسه على كتفه وقد أخذته الدَّهشة والرَّهبة من تلك المظاهرة التي يشارك فيها لا إراديًّا، رغم أنَّه لم يشتغل يومًا بالسّياسة.

فشل في التَّوصّل للأسباب الحقيقيَّة للمظاهرة كلَّما حاول الاستفسار من أحدهم وجده ينصرف عنه بالهتاف المدوِّي "يا حكومة يا ذكيَّة بصّي للغلابة شويّه"!!

دقائق معدودة تمرّ ليجد نفسه داخل سيَّارة ترحيلات كبيرة وضع بداخلها بعض المتظاهرين ممن تمكَّن رجال الأمن من اصطيادهم والقبض عليهم، فرَّ مَن فرَّ وهرب من هرب، أمَّا ونيس فقد عاقته حقيبته مثلما عاقته الدَّهشة مما يحدث له رغمًا عنه من الهرب من رجال الأمن؛ ليجد نفسه وسط العشرات من المقبوض عليهم وقد امتلأتْ بهم سيَّارة التَّرحيلات كالحة اللون.

يدفعه الجندي مع آخرين بقسوة داخل عنبر المساجين، العنبر مساحته أربعة أمتار في أربعة أمتار، وقد اكتظَّ بعشرات المساجين كما علب السَّلمون، رائحة العطن تغطِّي المكان، الجدران اكتستْ بتواريخ مواعيد خروج المساجين وكلمات أغاني وشعارات العدالة والحريَّة.

عالم جديد وغريب يتعرَّف عليه لأوَّل مرَّة.

بعد يوم واحد في السّجن كوَّن ونيس صداقات مع نفر من المحبوسين.

(اللول) المحبوس في قضيّة تجارة المخدرات و(البروفسير) المحبوس في قضيّة تزوير عمله و(أنزحة) المحبوس في قضيّة دفاع عن الشَّرف.

وكلّ واحد منهم حكى حكايته، أمّا ونيس فقد اكتفى بالقول بأنّه قبض عليه بطريق الخطأ وأنّه ليس له علاقة بمظاهرة العمال من قريب أو بعيد.

بعد مرور ستّة أيّام داخل السّجن يتمّ الإفراج عن ونيس ومجموعة المتظاهرين المطالبين بإصلاح أحوال العمال والموظّفين.

يسير في الشّوارع هائمًا على وجهه عقارب السّاعة تقترب من الثّامنة مساءً، يجد نفسه مرّة أخرى على كورنيش النّيل، يجلس على أقرب مقعد يفكّر فيما حدث له طيلة الأيّام السّتّة الماضية، فجأة يتذكّر أنّ غدًا الثّاني من أبريل موعد تنفيذ قرار الانتحار!! لكن ترى ماذا حدث في الأيّام الماضية؟ هل أقام زملاؤه له عزاءً؟!

هل الشّرطة تبحث عن جثّة المنتحر في ظروف غامضة؟! هل علم أبناؤه بنبأ انتحاره؟! وماذا كان ردّ فعلهم؟!

السّاعة تقترب من الحادية عشرة مساءً، وونيس ما زال حائرًا لم يحزم أمره بشأن تنفيذ قراره بالانتحار.

ربّما راودته رغبة حاول الهرب منها عقب خروجه من السّجن في الحياة... في العيش... في الرّغبة أنْ يبدأ من جديد، لكن "ونيس علام" ميّت في نظر الجميع الآن.

جلس أمام جهاز الكمبيوتر يفكّر في كتابة رسالة لأصدقائه، يخبرهم فيها أنّه ما زال حيًّا على قيد الحياة ولم ينفّذ قراره بالانتحار.

ماذا سيكون ردّ فعل أصحابه عندما يعلمون أنَّه ما زال حيًّا؟!

هل ستستدعيه أجهزة الأمن للتَّحقيق معه بتهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السّلطات؟!

السَّاعة اقتربت من الرَّابعة صباح الثَّاني من أبريل، الموعد الذي حدَّده لتنفيذ قراره بالانتحار، ولم يصل إلى قرار وحلّ للمشكلة والورطة التي وضع نفسه فيها بنفسه.

راح في نوم عميق لم يخلُ من كوابيس مزعجة، استيقظ في العاشرة صباحًا، أخذ حمَّامًا واحتسى فنجان قهوة سادة وارتدى ملابسه، قرَّر اللجوء لأحد أصدقائه المقرَّبين ليقصَّ عليه حكايته والورطة التي وضع نفسه فيها.

أثناء عبوره الطَّريق ليستقلَّ تاكسيًّا فوجئ بحشد من المواطنين وقد تجمهروا رافعين لافتات فيما يشبه المظاهرة.

هرول مسرعًا عائدًا إلى شقّته... جلس إلى جهاز الكمبيوتر وكتب رسالة لأصدقائه عبر البريد الإلكتروني...

أعتذر لكم عن رسالتي المفجعة وقرار الرَّحيل المفاجئ بالانتحار، أعترف بأنَّه كان قرارًا لحظيًّا متسرِّعًا وليد انفعال، أرجوكم أنْ تتقبَّلوا اعتذاري، وأطمئنكم بأنَّني مازلتُ على قيد الحياة، وقد انشغلتُ طوال الأيَّام الماضية بإنهاء أوراق انضمامي للحزب الكبير.

حضرت إحدى ندواته بالأمس عن الدّيمقراطيَّة والإصلاح السّياسي أتمنَّى رؤيتكم قريبًا...

مع خالص تمنّياتي لكم بموفور الصِّحَّة والسَّعادة.

المخلص

ونيس علام

القاهرة 2 أبريل 2006

تَمَّتْ

نوفمبر 2010

الـرجـل ذو
الشَّعر الأحمـر

الرَّجل ذو الشَّعر الأحمر والوجه المشرب بالحمرة ويعاني عجزًا في يده اليمنى، يقطع كسرة خبز، وقد غمَّسها بالجبن الأبيض بيده اليسرى.

يرقب عن كثب المارَّة علي رصيف القطار، رجلان يتبادلان الحديث عن أضحية العيد وأسعار الخراف والماعز، الرَّجل ذو الشَّعر الأحمر بعد أنْ ينهي رغيفه الأوَّل يتناول من حجر جلبابه المتهرِّئ رغيفًا ثانيًا يقطعه قطعًا صغيرة، وقد أخذ يوزِّع عليها بقايا الجبن الأبيض.

ما زال يرقب المارَّة على الرَّصيف، ربَّما ينتظر قطاره وربَّما يتَّخذ من الرَّصيف مأوى له.

بائعة الجبن الأبيض والقشدة والبيض، فلَّاحة في منتصف العقد الثَّالث من عمرها تقف أمامه لدقائق، وقد حملت على رأسها مشنّة تحوي بضاعتها، يدور بينهما حديث هامس ثمَّ تمضي...

بعد دقائق يغادر الرَّجل ذو الشَّعر الأحمر الرَّصيف ثمَّ يختفي، يتَّفق الرَّجل مع صديقه على اصطحابه لأحد تجَّار المواشي الخميس لشراء خروف العيد.

القطار يطلق صافرته معلنًا قيام رحلته، الكمسري يعلن عن نفسه: تذاكر يا أفنديه...

بائع اللبّ ينادي: لبّ سوبر لبّ واتسلَّى.

بائع الشَّاي ينعق بصوته الأجشّ شاااااااااااي!!

أنظر من شبَّاك القطار ألمح بائعة الجبن تجلس في مكان الرجل نفسه ذو الشَّعر الأحمر تهشّ الذّباب من على بضاعتها بيدها اليسرى فيما تتناول بيدها اليمنى كسرة خبز غمستها بالجبن الأبيض.

تَمَّتْ

أكتوبر 2011

عربة التَّرحيلات

حشود من البشر توزعتْ على رصيف القطار المقسّم إلى ثلاث حارات.

مجموعة تنتظر القطار القادم من بورسعيد وأخرى تنتظر القطار القادم من الزَّقازيق وثالثة تنتظر القطار القادم من القاهرة في طريقه إلى بورسعيد.

جمع غفير من الرِّجال والنِّسوة والأطفال ينتظرون في لهفة القطار القادم من قاهرة المعزِّ محمَّل بذويهم من المساجين في طريقهم إلى سجن بورسعيد.

لفائف ورقيَّة وشنط بلاستيكيَّة وأواني طعام يحملونها لتقديمها لذويهم من المساجين.

بضع عشرات من جنود الأمن وقد تراصُّوا على جانبي الرَّصيف حاملين في أيديهم هرَّوات غليظة لمنع حشود المواطنين المنتظرين من الاقتراب من عربات القطار، خاصَّة عربة المساجين المحكوم عليهم في قضايا مختلفة في طريقهم إلى سجن بورسعيد.

صافرة قطار القاهرة أتتْ هادرة من بعيد، الحشود البشريَّة دبَّتْ فيها الحركة والنَّشاط كمارد يستعدّ للانطلاق.

آباء وأمّهات ينتظرون في لهفة رؤية أبنائهم، زوجات التحفنَ السَّواد وحملنَ فوق رُءُوسهنَّ الأطفال ولفائف الطَّعام في انتظار رؤية الزّوج من شبّاك عربة التَّرحيلات المحكم والمغطَّى بسلك البقلاوة السَّميك.

يعلو الصّراخ والنِّداء على هذا وذاك مع توقّف القطار في المحطّة.

عادل... رامي حيجيلك يزورك في السّجن والفلوس اللي عليك راحت لصحابها.

حسن... إحنا رايحين مصر بكره وحنقوّملك محامي كبير اطَّمن خالص.

سيد... خلِّي بالك من صحتك يا أخويا شدّة وتزول، إحنا كويسين أنا والعيال، وأمّك بخير وبتسلّم عليك، خد بالك من نفسك، إحنا محتاجين لك قوي يا سيد.

جنود الأمن أقاموا حاجزًا بهرَّاواتهم التي تشابكت فيما بينها للحيلولة دون اقتراب الأهالي من شبابيك عربة التَّرحيلات وإعطاء أيّ شيء لذويهم من المساجين.

القطار عاود إطلاق صافرته الهادرة استعدادًا للتَّحرّك من المحطّة في طريقه إلى بورسعيد.

بائعة ريفيَّة مسنّة اقتربتْ من الثَّمانين تجلس على رصيف قطار بورسعيد تبيع الجبن القريش والزّبد والبيض، وقد انهمكتْ في عدِّ نقودها الورقيَّة فئات ربع جنيه وجنيه وخمسة جنيهات.

بـالقرب منهـا طالبتـان جامعيّتـان تجلسـان عـلى أحـد كـراسي الرَّصيف، وقد دار بينهما حديث هامس أعقبه ضحكة مجلجلة لم تخـلُ من شقاوة.

قطار الزَّقازيق أطلق صافرته الخافتة وتحرَّك بركابه.

قطار بورسعيد أطلق صافرتين هادرتين من جديد وانطلق بسرعة مغادرًا محطّة الإسماعيلية محمَّلًا بأطياف مختلفة مـن البشـر مـن بيـنهم مجموعة من المساجين المحكوم عليهم في قضايا سرقة وقتل وتجـارة في المخدّرات والذين اكتظَّت بهم عربة التَّرحيلات فيما يشبه يوم الحشر!!

حشود البشر على رصيف قطار بورسعيد تراجعت إلى الخلـف... تفرَّقت الحركة وهدأت... والأصوات خفتتْ... جنود الأمن غادروا الرَّصيف بعد انتهاء مهمّتهم.

قطار السّويس يتحرَّك بعد تأخرّه عن موعد قيامه مـا يقـرب مـن النِّصف ساعة وسط ضيق وتذمُّر الرُّكَّاب الـذين راح بعضـهم يلقـي بالسّباب واللعنات على هيئة السّكّة الحديد!

فيما لازالت بائعة الجبن القريش والبيض منهمكـة في عـدِّ نقودهـا الورقيَّة!!

تَمَّتْ

مارس 2010

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
البرواز	7
البيت القديم	11
الجيزاوي	23
الرفيقتان تغزلان الصَّبر	27
الركض مع الأقنعة	33
الصَّعاليك يقيمون الأضرحة سرًّا	39
الغرفة 218	51
الكلب والحصان الخشبي	55
الهروب إلى ارتواء غير مكتمل	61
ترمادول	63
تساهيل	73
رجل المحمول	81
زخَّات حميمة لليلة شتويَّة	89
سلّملي عليه	97
سينداوول	101
الرَّجل ذو الشَّعر الأحمر	107
عربة التَّرحيلات	109